بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا

كلية الدراسات العليا

برنامج ماجستير الترجمة العامة الدفعة الخامسة 2014 م

ترجمة الصفحات (51-102) من كتاب بعنوان :

النيل الأحمر – قصة أعظم أنهار الدنيا

للكاتب : روبرت تويقر

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الترجمة

Translation of pages (51-102) from the book

Entitled the Red Nile – biography of world's

Greatest river

By Robbert Twigger

إعداد الطالب

عبد اللطيف فضل الله حسن

إشراف الدكتور

محمد الطيب عبد الله

مايو 2015

الآيـــة

قال تعالى:

{هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}

صدق الله العظيم

سورة الزمر الآية (9)

الإهـــــداء

أهدي هذا البحث

إلى روح والدي الذي حثني علي العلم والتعلم

إلى والدتي التي سهرت على تربيتي حتى صرت رجلاً

الشكر والعرفان

أشكر كل من ساهم في هذا الجهد حتى خرج هذا البحث بالصورة المطلوبة وأخص بذلك زوجتي العزيزة التي وقفت بجانبي في أحلك الظروف.وأخص كذلك د. محمد الطيب عبدالله الذي دعمني أيما دعم وارشدني لإخراج هذا البحث بهذه الصورة. كما أشكر جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا لإتاحتها الفرصة المواتية لإجراء هذا البحث من خلالها وتسخيرها لنا كل الامكانات .

المستخلص

تحتوي الصفحات من 51-102 من كتاب ضالنيل الأحمر لمؤلفه روبرت تويقر علي بقية الجزء الأول من الكتاب وصدر الجزء الثاني من الكتاب والتي تناول فيهما الكاتب طرق وانتشار الأمراض والأوبئة حول بيئة النيل ، وتتبع حكام مصر في عهد الفراعنة والنقوش في الصحراء ودلالتها الرمزية علي الحكم . ثم تناول فوائد ورق البردي الذي نقل لنا أسرار الأسر الحاكمة في مصر الفرعونية ،ومكن من تدوين المخاوف والأهوال التي جابهها سكان النهر العظيم (نهر النيل) عبر التاريخ والعصور . وكذلك تناول الكتاب الجنسية المثلية والزواج . وكشف عن سر الأهرام وبنائها وكيفية تحكم المصريين القدماء (الفراعنة) في مياه النيل بالسدود وبحيرة قارون.

وتناول الكاتب مأساة شعب إسرائيل في مصر الفرعونية وقصة موسي والفرعون وخروجه بشعبة عابراً البحر والبلاءات التي تعرض لها مجمل سكان مصر في ذلك الزمان وتناول الكاتب طريقة مقتل االفرعون سقنن رع حيث أسهب في شرح الأمر.

Abstract

The pages (51-102) from the book (The Red Nile) by RobbertTwigger contains the rest of part one of the book, and the beginning of part two. The writer traced the ways how epidemics and diseases have spread throughout the basin. He mentioned the rulers of ancient Egypt, and the inscriptions in the desert and their symbolic meanings about rules. He talked about the benefits of papyrus in which the secrets of ruling families were written in ancient Egypt .

These papers enabled the dwellers of the great river to write down the fears and the Catastrophes that they had come across through history and ages. Also he talked about the homosexuality and marriage.He revealed the secrets behind building the pyramids and how the old Egyptians controlled the water of the Nile by dams and Moeris lake.

The writer talked about the tragedy of Israeli people in ancient Egypt, and the story of Moses and the pharaoh and the Exodus of Israeli people. He talked about the plagues which the whole people of old Egypt and suffered ,too at that time.

The book talked about the hyposes regarding the assaination of pharaoh Sequenenre. He talked about that in details.

مقدمة المترجم

نهر النيل من أطول انهار الأرض ،سيرته تثير الدهشة والروعة ، وتولد الاحساس بمتابعة كل صغيرة وكبيرة عنه علي مر الازمان.

كان نهر النيل علي مر التاريخ مضيافاً يعطي سكانه كل جميل ويمنح اسباب الحياة والعيش الكريم. كان اختيار المترجم لكتاب (النيل الاحمر) لكاتبه الانجليزي الأصل روبرت تويغر من اللغة الانجليزية الي اللغة العربية يعود الي أهمية هذا النهر العظيم واثره التاريخي والثقافي والاجتماعي علي شعوب هذه المنطقة ومن ضمنها السودان .

كانت مهمة المترجم في ترجمة الصفحات من 51 الي 102 ولم يكن نص الكاتب غامضاً ولكنه كان صعباً استعمل فيه لغة غير عادية شديدة التعقيد ولذلك كان من الصعب ايجاد النص من لغة المصدر الي لغة الهدف .

لقد نشط الكتاب الغربيون في الاهتمام بالحياة الفرعونية علي ارض مصر واضافه آرائهم الخاصة التي قد تكون غير صحيحة ولكنها في النهاية مهمة ومفيدة.

وقد وفق المترجم الي حد كبير في ترجمة النصوص وايجاد مقابلها باللغة العربيةناقلاً افكار الكاتب التي ملأ بها كتابة ولعل ذلك يوضح اثر النهر علي الحياة في وادي النيل الكبير الذي يشمل مصر والسودان بالطبع وتأثير علي حياة الناس وشعوب المنطقة.

أسال الله العظيم ان يكون هذا الجهد مفيداً للقارى العربي والمهتمين بالدراسات السودانية والمصرية لتداخل حياة هذين الشعبين عبر العصور والأزمان .

وان يكون أضافة للباحثين في شئون الجغرافيا والتاريخ لشعوب وادي النيل .

المترجم

عبد اللطيف فضل الله حسن

الخرطوم مايو 2015

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الاهداء	ب
الشكر والعرفان	ج
مستخلص البحث بالغة العربية	د
مستخلص البحث بالغة الانجليزية	هـ
مقدمة المترجم	و
جدول المحتويات	ز
قبلة الموت لنهر النيل	1
تبخر النيل	7
الاحمر والاسود	11
الورق والرصاص	14
الجنس المثلي علي النيل القديم	17
الأهرام وميناء الغامض	19
مضخة النيل	21
الحياة الجنسية وسحن البردي	24
دخول موسي والطاعون الأحمر	26
موسي يعبر النيل الأحمر	31
سر موسي	33
زمان الجوع	35
الفرعون الأحمر	36

10. قبلة الموت لنهر النيل

" يتدفق النهر طوال اليوم، لا ينتظر أبداً، لكنه لا يزال يعطي حصة لكل شخص" مثل سوداني.

كان من الممتع ان تمر بكل تلك الامور المتقلبه التي توفرها لك الطبيعة علي نهر النيل، ولكننا كنا نقترب من القاتل الحقيقي، القاتل العادي المرض.

لطالما كان هنالك امراض، امراض يساعد الماء في تفشيها، ولكن بنسبه اقل مما يسهم به مايكن في الماء وحوله من الطفيليات التي جعلت من نهر النيل منذعشره الاف سنة مكاناً غير موائم.

فضل الانسان القديم السافنا الاكثر جفافاً والتي اصبحت فيما بعد الصحراء الكبري، والصحراء خالية من الامراض بشكل افضل، بينما النهر المرطب المملؤ بالمستنقعات هو علي النقيضص من ذلك، مع تغير الطقس اصبح النيل موائماً للسكن اكثر من زي قبل، ولكنة مع ذلك ظل عاملاً رئيسياً في نشر الامراض، البق والذباب والعناكب والبعوض والاميبا والطفيليات والديدان والعناكب!هلاًبك في عالم نهر النيل المملؤبالاحياءالدقيقة.

تخيل ضجيجاً تحدثه نملتان من السكر وهما تتبادلان التحايا والقبلات الطائره، في وجهها الغامض وهما تصدران ذلك الصوت :اممممح ،اممممح وإقران ذلك بالرعب والتوجس من الصعب ان تقوم بشي كهذا اليس كذلك؟ ومع ذلك فلم يحدث ان سمعت ذلك الصوت مرة اخري والصوت الطقوس الخاوي – دون ان يكون مقروناً بالرهبة الكامله.

قال لي الاب اوزوالد كن حذراً من اممح، اممح، كان الاب اوزوالقسيساً اسبانياً يجوب مستنقعات السد بصبر لا ينفد، انت بحاجه الي ذلك النوع من الصبرفي افريقيا انت كنت ترغب في تفادي ارتفاع ضغط الدم والبعد عن الكحول، لم يبتسم عندما شرحت الطرفه ،طرفه القبلات الوهميه .وذلك لأن الامر بالنسبه الية ليس مزحه بل هو أمر جدي.

انها ذبابه اسمها العلمي(simuliumdamnusum) ذبابة تحوم فوق النهر في شكل سحب تخالها اول الامر دخاناً ناتجاً من احتراق اطار. في مستنقات السد وفي اعالي نهر النيل باتجاه بحيرة فكتوريا فان ذبابة تحل لعناتها علي الجميع تعرف محلياً باسم (اممممح) وهوصوت تقبيل الهواء وهي بعوضه سوداء بالفعل لها عضه مؤذيه تتسبب في ايواء دوده طفيلية جنينيةتسبب الدوده طفحاً متورماً قد يكون مؤلماً للغاية ، وتسبب الدودة ايضاً تشوهاً وفي الحالات الحادة قد تسبب العمي.

اخبرني الاب اوزوالد ان جميع من يعبر النهر بالقوارب يجب ان يكونوا حذرين ومتنبهين لأن الذبابة تضع بيضاًفي الماء وتكون اليرقات ملتصقه في صخور قريبه يمسك الناس بها عادة في المنحدرات والشلالات.

إن لذبابة سميوليم دامنوسوم بنت عم حميمة تسكن النهر وراء السد، بين الشلال الثالث والرابع في السودان (الشلال هو تشويش صخري، سلسلة قصيرة من شلالات الصخور الصغيرة عبر النهر).هذه الذبابة العاضة، التي تسمى بالنمتي كنوع من صياغة الكلمات بالأصوات، تقصد أن تلدغ الطيور والحمير - ولكنها تفعل نفس الشئ بالناس. يمكنها، في أسرابها التي تمثل السحاب، أن تغزو الأنف والعينين والأذنين، "مثل وضع رأسك في ماء قارص". وقال الأب أوزوالد لابعاد هذه الآفة، يمكن أن ترى الناس في ضفة النهر يحملون طرفاً من حبل مدخن يتأرجح مثل مبخرة كاهن.

عندما أصبحت مريضاً كنت في القاهرة . لم يكن هناك أي من الذباب أو الطفيليات . لقد كبرت ببساطة بين عشية وضحاها حوالي الخمسين عاما. هل كان ذلك من السباحة، قفزة غافل، مدفوعة بحماس الشرب، من جزيرة الزمالك في القاهرة للمركب الراسية على الشاطئ الغربي من النهر؟ لست متأكدا ولكني شعرت ... بشعور غريب جدا. شعور الرجل الهش في التسعين من عمره. شعرت بأن ظهري قد ينكسر لو انحنيت بسرعة كبيرة جدا أو بعيداً جدا؛ حتى ربط حذائي كان عملية محفوفة بالمخاطر. حولت أفكاري كل شيء إلى المياه، مياه النهر ربما. هل ابتلعت شيئا في تلك الغطسة الممتعة ذلك المساء؟ دائماً ما كنت تفعل. كان لي أصدقاء يسبحون بانتظام في النيل ولم يحدث أن أصيبوا بالمرض. ويفعل الصيادون وأطفالهم ذلك طوال الوقت. وقال لي خبير مياه الصرف الصحي أنه بصرف

النظر عن المعادن الثقيلة في النهر فهو على الأرجح نظيف بما فيه الكفاية للشرب، والآن فإن القاهرة تضخ مياه الصرف الصحي الخام خارجاً إلى الصحراء بأنابيب ذات قطر من خمسة أقدام. ربما؟ وأنني حتى لم أشرب مياه التايمز.

ربما كان مجرد حالة نادرة من حالات التسمم الغذائي. (لقد وجدت أنه إذا أردت أن تقود قارباً للنزهة في أسوان، فانه أندر أن تجده في مصر مما هو عليه الحال في إنجلترا). ولكن ربما كان النهر . تبدو القنوات في القاهرة مروعة -مكسوة بالقمامة، وتستخدم لغسل عربات الخيول والحمير المهترئة. ولكن النهر دائما يبدو نظيفاً . كنت بالكاد ترى قمامة عائمة في أي وقت والضفاف كان عليها حطام أقل من البحر. إنه يبدو وكأنه نهر نظيف، ولأنه نهر سريع إلى حد ما - ربما 3 أمتار بحرية في المجرى الرئيسي في القاهرة فانه يبقى نهراً نظيفاً .

يفيض النيل ويتمرد راكداً في البرك، ولكن الملاريا لا تتكاثرعليه. والسبب هو أن المياه المحملة بالطمي محصنة من تكاثر البعوض. في ولاية البنغال، عندما تم التخلي عن الري بالمياه المحملة بالطمي وأدخل الري بمياه الأمطار ، انتشرت الملاريا. في المناطق حيث يجري البناء على قدم وساق- فيما يسمى القاهرة الجديدة في الصحراء الشرقية -هناك الكثير من البعوض أكثر مما تجد على نهر النيل. البرك الراكدة في مواقع البناء والحدائق التي تم بناؤها حديثا هي المسؤولة عن ذلك.

زرع المصريون القدماء البرسيم على طول ضفاف النيل. ترى كل عربة كارو تسير في جميع أنحاء القاهرة تلتقط القمامة أو تبيع الفاكهة تحمل حزمة من العلف على ظهرها - انها وقود سريع للحمار – الذي يزود الاقتصاد بالطاقة. إنه أيضا، مثل السترونيلا، طارد معتدل للبعوض.وتماما فان الأهم من ذلك أنها تزهر مرارا وتكرارا ويمكن قطفها مرارا وتكرارا، ويبعد هذا العملالبعوض من المجاري على طول النهر الذي من شأنه أن يكون أرضاً خصبة لتوليد البعوض إن كان الأمر خلاف ذلك.بعض العلاجات الفرعونية - تلك التي تنطوي على براز الأوز وخصيتي السلاحف، على سبيل المثال - تتعارض مع المفاهيم الحديثة للطب. ولكن إملاءات أخرى من القصر لا تزال تحمل معنى: كان محرما على الناس في الخدمة العامة أكل الخضار غير المطبوخ، وهو حارس آخر ضد انتشار المرض من خلال تناول النباتات المُذْبَتة في التربة ليلا وتسقى بالماء الراكد.

بوسعنا أن نذكر هنا ويليام ويلكوكس، العقل المدبر وراء السد البريطاني العظيم، المبشر بالسد العالي في أسوانكان ويلكوكس مستقيماً مثل قالب لصك العملة، عاملاً كنحلة، وبناءاً .لقد روى أجزاءاً واسعة من الهند والعراق ومصر.طور خطة كبرى للسيطرة على النيل بأكمله. وقضى الجزء الأخير من حياته مشغولاً ليس بما كان قد حققه ولكن بصندوق البنادورا الذي فتحه في شكل انتشار البلهارسيا ودودة الأنكلستوما.

هذه الأمراض سكنت في القنوات التي كان قد جعلها ممكنة بالري الدائم. بالري بالمياه على مدار السنة في القنوات، فان مستوى المياه الجوفية، والبالوعات، قد ارتفع؛ هذا ما مكن دودة الأنكلستوما المنهكة من الازدهار. وكنوع من الإهانة إلى حد الجرح ، في نهاية المقطوعة الموسيقية، فانه عندما تم بناء السد العالي كان من أثر الحد من الطمي المنحدر أسفل المصب أن البعوض يمكن أن يتكاثر مرة أخرى.

البلهارسيا هو طفيلي آخرسيئ ، وينتشر عن طريق الحلزون .لا يمكن أن يعيش الحلزون في المياه المتدفقة، فإنه يحتاج قناة ضيقة ساخنة ورطبة جداً، بحيرة، بركة راكدة ليترك بصماته، ليزيد عبر الجيل القادم. لقد تم التسجيل حتى في زمن الفراعنة أو هناك حاجة إلى الماء السريع لتجنب هذا المرض.

التأثير الرئيسي للبلهارسيا هو التعب والألم. والمرض يأكل من الجسم عبر السنوات لتنهار صحتك، وتذهب قوتك. قيل لي في النوبة أن انتشار الحشيش يتزامن مع انتشار البلهارسيا في أعالي النيل - إنه يهدئ الألم بصورة رائعة.

في السابق كانت هناك جيوب صغيرة فقط من البلهارسيا في الدلتا، والتي زادت نتيجة الري الدائم الأول الذي أدخل بعد بناء أول سد في منطقة الدلتا في ثمانينات القرن التاسع عشر. ولكن مع السد العالي

في أسوان، والحاجز في أسيوط وجميع الحواجز والتحويلات الذكية الأخرى، كان الحلزون ينتشر في جميع أنحاء الشبكة من القنوات والخنادق بزيادة كبيرة.

منذ زمن سحيق روى المصريون أرضهم باندفاع المياه لمرة واحدة لفيضان النيل في فصل الصيف. أما الآن فان السدود قد حجزت بعض الماء طوال العام، وسمحت للقنوات أن تغذي على مدار السنة .لم يعد هناك موجة مرتفعة كبيرة من التيار، وفيضان مطهر، يحطم الأركان والزوايا المظلمة المحبوبة من قبل حلزون البلهارسيا، الناقل لمرض البلهارسيا، المعروف أيضا باسم مرض شيستوسوميازيسschistosomiasis.

يبرز الطفيلي المثقوب الذي يحمل الحلزون (خلال النهار فقط عادة)ويخترق أي جلد بشري في المناطق المجاورة له.ما إن يلج داخل الإنسان يزور هذا المخلوق الرئتين ومن ثم يجعل منزله في الكبد ويبدأ في التغذي على خلايا الدم الحمراء ينضج الطفيلي داخل الدودة عند أقل من نصف بوصة طولاً وعندها يبدأ في وضع مئات من البيض. قد تستمر هذه الديدان في الجسم لمدة تصل إلى عشرين عاما، مؤدية إلى الخمول المزمن، وأمراض الكبد، والحمى وسوء التغذية.

في جميع أنحاء المصارف والقنوات في صعيد مصر انتشرت القواقع وانتشر المرض. لقد خفض من قوة العمالة في مصر العليا بطريقة كبيرة. لقد حققت محطة التزويد بالفحم في بورسعيد أعلى معدل للتراجع في أي مكان في العالم في أوائل القرن العشرين، عندما كان يعمل بها الرجال الأشداء من مصر العليا لساعات من العمل المنهك . في ثلاثينات القرن العشرين كان سكان مصر العليا منهكون بسبب البلهارسيا وكانت معدلات التراجع تصل إلى مستوى بائس.

وقد تم تطوير علاج في بريطانيا في عام 1918 .تم العثور على مركب في القرون الوسطى من الأنتيمون المعروف باسم دواء الحمض الذي وجد أنه فعال. وكانت هناك آثار جانبية - النوبات الشاذة والقيء -ولكن في مصر الجديدة الناصرية اعتبر هذا عبثاً . وقد أجري برنامج ضخم للحقن من خمسينات القرن العشرينإلى ثمانينات القرن العشرين. كان هناك حقن آخر: تم استخدام حقانات غير مغسولة مرارا وتكرارا على سكان الريف بأكمله في المناطق المتضررة. نشرت هذه الممارسة التهاب الكبد C في مصر، وهي اليوم لديها أعلى مستويات العدوى في العالم بنحو 10 في المائة من السكان. يتم علاج البلهارسيا الآن عن طريق الشراب بالعلاج السنوي للبرازيكوانتيل praziquantel.

كانت البلهارسيا موجودة حتى في العصور الفرعونية، على الرغم من أنها قد بلغت ذروتها في فترات لاحقة، ربما عندما خسرت معرفة الحاجة للانتقال السريع للمياه لصالح إبقائه محجوزاً . في العصور القديمة كان الصمغ الراتنجى (المر)يعتبر علاجاً .تم التخلي أخيراً عن الدواء الحديث الذي يحتوي على نبات المر، ويدعى ميرازيدMirazid، في عام 2005 ، على الرغم من فعاليته، بسبب أن الدواء الحالي برازيكوانتيلpraziquantel أكثر فعالية ثماني مرات.

كارثة البلهارسيا والحقن والتهاب الكبد C هو مظهر آخر للقانون الساذج والعواقب غير المقصودة . ومع ذلك، وعلى الرغم من افتقاره للحكمة، كان ويلكوكس رجلاً رائعاً . غير العمل الضخم له في مجلدين، المسميان (النيل) فانه قد أنتج واحداً من الكتب الأكثر إثارة للاهتمام من أي وقت مضى عن مغامرات موسى.قرر ويلكوكسالنظر في الكتاب المقدس من وجهة نظر علم المياه والري. حيث استندت الحضارات القديمة على الري، فانها كانت نقطة انطلاق مهمة ومعقولة أن ننظر إلى العالم من وجهة نظر موسى ، وليس ومن وجهة نظرنا.وعلى الرغم من التدريب الجاد له في تشذيب حجرالصوان والطريقة القديمة لصنع النار، كيف يمكن لعالم الآثار إلقاء نظرة على العالم بأي شيء آخر غير عيون عالم الآثار – بعد البكالوريوس والماجستير والدكتوراه وجميع الحفريات وفرص العمل التطوعي لنقل كسر الآنية الخزفية؟ يبدو غريبا بالنسبة لي أن يشمل التخصص تطوير وجهة نظر تعّقد الموضوع نفسه الذي ترغب في دراسته.

كنت أعرف منذ زماني في الصحراء وأنا أجمع الأدوات الحجرية أن أي مكان يبدو مثيراً للاهتمام لنا سيكون قد أثار اهتمام الإنسان القديم. إن الكهوف والتكوينات الصخرية الغريبة، والمتدليات أشياء مثيرة للاهتمام - في جميع هذه الأماكن سوف تجد أفضل القطع الأثرية - وكل هذه الأماكن ، هي التي سينجذب إليها الطفل أو الشخص الذي لا يزال لديه طبائع الطفولةكان واحداً من أحسن اكتشافاتي ثلاثة من القوارير السليمة وجدت في بحر الرمال العظيم نتيجة لسؤالي لشخص ما أن يصعد إلى صخرة مثيرة للاهتمام لإلتقاط صورة وكانت الأواني مدفونة تحت أقدامه.

كان ويلكوكس خبيراً في الري، وليس في دراسات الكتاب المقدس، ولكن ما توصل إليه في كتابه "من جنة عدن إلى معبر نهر الأردن"لم يكن عادياً . لم يكن من أولئك المهندسين متشققي القدمين الذي اختاروا أن يكتبوا عن سر الأهرام ذلك الذي مال إلى الكتابة. إنها لمحة رائعة، مدهشة في عقل الراحل الموسوعي في القرن التاسع عشر.

وكان من أصل انجليزي مع أنه ولد في موسوري، محطة التل في الهند .عندما زرت المكان تعرفت في وقت واحد على سفوح الجبال وعبق الأرز الهندي التي كانت ملعب ويلكوكس في شبابه. وكان قد التحق بالمدارس الهندية وكلية هندية للهندسة. كان طموحه أن يكون مثل والده، وهو رجل من ديفون والذي رفع نفسه من جندي بسيط إلى مهندس ري بالعزم الأكيد والعمل الشاق.كان والده يعتقد أن نجاح البريطاني في الخارج كان بسبب شرف محتده.وعلى الرغم من أصله المتواضع بالولادة كما ادعى، بتجربة جندي يجيد السفر وقاتل لكارليستس في أسبانيا ومع البريطانيين في أفغانستان والهند، فأنه لم يكن هناك أنبل من الأصل البريطاني. وفي ذلك قال لابنه وليام، ليكن السلاح السري لك هو أنك بريطاني.

عاش ويلكوكس حياة متقشفة ومنضبطة، وكما كتب فان: "المصاعب واليقظة، في رأيي، يسيران جنبا إلى جنب".كان مولعا، عند الخروج لأعمال المسح الهندسي، أن يعيش في خيمة متواضعة مثل تلك التي يعيش فيها العاملون لديه، إن لم تكن أكثر تواضعاً . عندما جاء ملاك الأراضي المحليون للقيام بزيارات افترضوا أنه لا يوجد مدير أوروبي يباشر العمل وذهبوا بعيدا، وتركوا ويلكوكس للمضي في عمله الثمين.حتى وقت متأخر من حياته فان الناس كانوا كثيراً ما يخطئون في التعامل معه كموظف كاتب بدلا من رئيس مشروع هيدرولوجي كبير. وقد وصفه رئيسه وزوج أمه في نهاية المطاف العقيد كولن سكوت مونكريف (شقيق مترجم بروست) باعتباره الدينامو البشري، الذي لم يكن من المستطاع بدونه أن تنتهي عبودية المكاتبين المعروفة باسم السخرة (كورفي) ولم يكن ليبنى سد أسوان.

اليوم العادي لويلكوكس يبدأ في الساعة 5:00 ليستيقظ في مسكنه المشترك في حلوان، منتجع صحي بني حوالي خمسة عشر ميلا إلى الجنوب من القاهرة. ويشمل جيرانه المستكشف الألماني العظيم أغسطس شفاينفورت، الذي سوف تتقاطع خطواته معنا في دروب الكتب. وبعد وجبة إفطار سريعة من العصيدة، سينفقويلكوكس عشرين دقيقة من تمارين الساندو. كان ويلكوكس من الأتباع المبكرين ليوجين ساندو جنبا إلى جنب مع لاعب كمال الأجسام الآخر آرثر كونان دويل. في الواقع نظم ساندو أول استعراض لكمال الأجسام في العالم في قاعة رويال ألبرت في عام 1901م مع مبدع شيرلوك هولمز كرئيس للمحكمين.

كتب ساندو، أب رياضة كمال الأجسام الحديثة، نصف الروسي ونصف البروسي، كتباً بعناوين: القوة والصحة والحركةهي الحياة. لقد تم تصويره في عام 1894م من قبل شركة أفلام إديسون. ونحن سوف نلاقي في وقت لاحق اديسون وهو يصنع أول فيلم عن نفوق الفيل: لقد صور موت فيل شارد.ولاقى فيلم ساندو نجاحا كبيرا وكان الناس يعجبون من قوته أقل من انتفاخ عضلاته. كانت شهرة ساندو كبيرة لدرجة أن تمثالاً صغيراً لبنيته المتألقة كانت هي الجائزة الأولى للسيد أولمبيا، مسابقة كمال الأجسام المشهورة عالميا التي فاز أرنولد شوارزنيغر بها ست مرات على التوالي. ويبدو من المناسب أن الرجل الذي فعل أكثر من أي شيء آخر ليصارع النيل ليخضعه ينبغي أن يكون من محبي كمال الاجسام.

على أي حال، بانتهاء تمارينه الساعة 06:20صباحاً، ينفق ويلكوكس الساعة القادمة في المشي سريعاً جداً "في خط نحلي أعلى التل وأسفل الوادي" في الصحراء القريبة. في الساعة 7.30 صباحا، عليه أن يذهب إلى القاهرة وأن يعود إلى البيت في الساعة 00:5. من الساعة 5.30 وحتى 7.30 يسارع مرة أخرى عبر الصحراء.المشي كان له هواية مفضلة، وعند مسح قناة جديدة أو القيام بالري كان يسير بلا كلل . وتباهى مرة بالمشي خمسة وعشرين ميلا في اليوم كل يوم لمدة 107 يوما في درجة حرارة أكثر من 80 درجة .حقا لقد كان رجلٌ من الفولاذ .عند عودته إلى البيت فانه يتناول العشاء في الساعة الثامنة مساءاً ويكون نائما في السرير الساعة العاشرة ، معداً نفسه ليوم آخر في المكتب لتغيير مجرى الطبيعة والتاريخ.

ولكن ويلكوكس، على الرغم من حماسته، أو ربما بسبب ذلك، واجه الجانب السيئ من اللورد كرومر، الديكتاتور الحاكم الفعلي لمصر . لأول مرة في حياته تتخطى ويلكوكسالترقية.وكتب: "كان يكفي، لزعزعة إيمانه في الله الخالق وإقناعه بالتخلي عن خططه التائقة إلى السد العظيم. في الواقع كانت تدور في رأسه هذه الأفكار السيئة حين كان يسرع المشي في الصباح شمال شرق الصحراء. مضاعفة."

فجأة، شعر بذراع تتبت على كتفه وشبح والده المتوفي يظهر ويمشى بجانه لمدة نصف ساعة ويتجادل معه، بروية لإقناعه بعدم التخلي أبدا عن حلمه. كتب ويلكوكس: "ومنذ ذلك الحين لم أنظر إلى الوراء أبدا بل ذهبت قُدماً فيمشروعي مع حماسةٍ مضاعفةٍ."

تم قبول الخطط كإجراء أولي. كانت أعمال المسح في أسوان لا عيب فيها.وكان قد فكر في كل شيء - تصميم السد العالي جدا لاستيعاب الممرات التي يتم من خلالها مرور الفيضان بأكمله.وكان هذا قصد ويلكوكس"، بحيث سيحمل النهر طمي النيل المحمر وصولا إلى الدلتا لا أن يحجزه وراء السد. يمكن أن يعلى السد مرة أخرى في وقت لاحق. مرة أخرى تنبأ ويلكوكس بأن معارضة الفيضان السنوي لمعبد فيلة سيقل يُشعر بالفوائد المتعددة للسد. كان تصميمه كاملا لذلك مطلوب فقط مهندس الجسر المستقبلي السير بنيامين بيكر تحويله إلى واقع.

لكن شيئا لم يحدث. مضت سنة أو سنتان. وعمل بشدة أكثر؛ وخلال عملية مسح كاملة لم يحدث أن مُنح إجازة الأحد لمدةثمانية عشرة شهراً، وأصر على أن ينام هو ورجاله في الخيام، أخشن أنواع الخيام أيضاً، لتلك الفترة بأكملها.وأخيرا، في عام 1897 سأل اللورد كرومر إذا كانت خططه لسد أسوان ستتحقق أبداً . تخلص كرومر من هذا الموظف المزعج من خلال الرد بأن هناك حاجة إلى المال في مصر لاستعادة السودان، وانه يشك في ما إذا كان السد سيبنى في عهد ويلكوكس. لذلك، استقال ويلكوكس وحصل على وظيفة مع هيئة المياه بالقاهرة. في وقت لاحق بعد عام بدأ العمل في السد الذي سيغير العالم. تم العثور على التمويل من المستثمر في القطاع الخاص إرنست كاسل، ولكن لم يكن ويلكوكس هناك ليكون القابلة لطفله' :أنا أتذكر جيدا شعور الذل الذي غمرني عندما وقفت على أنبوب قطره أربعة أقدام الذي حمل كل إمدادات القاهرة من المياه وقارنت الشعور بالكرامة للاهتمام بهذه المياه بتصميم الهياكل للسيطرة على تصريف الفيضان لنهر النيل."

أدار ويلكوكس ظهره إلى البناء وبدأ الكتابة بعنف: عمليه في مجلدين اثنين: النيل الذي هو تحفة من التفاصيل والخطط المرسومة الرائعة. تولى المضاربات العقارية بناءاً على طلب من إرنست كاسل نفسه الذي مول السد - وفقد الكثير من المال.

لكن حماسته تواصلت وكان يعمل في وقت لاحق في العراق في التعامل مع مشاكل الري في نهر الفرات.

في وقت لاحق من حياته وقع ويلكوكس في نزاع مع مردوخ ماكدونالد، وهو من أولئك الذي يضعه الواحد على الفور في صف الذين يقولون نعم لمن هو في السلطة. وانتهى النزاع كدعوى تشهير، ساحة المعركة التقليدية للإنجليزي عندما يكون كل شيء قد فشل.كانت المعركة حول معدل التدفق في سد آخر سيتم بناؤه - وهذه المرة على رافد رئيسي لنهر النيل، نهر عطبرة.أصر ويلكوكس علىأن الأرقام

كانت كاذبة. ومهما كانت الحقيقة، فقد خسر ويلكوكس الدعوى.ولكن السم الهائل الذي ذرقه في هجومه يبدو غير عادي بالنسبة لرجل مجد ومعتدل. والسبب، في اعتقادي، يمكن العثور عليه في إدراكه أن السدود يمكن أن تجلب البؤس أيضاً . إنه ببساطة لا يريد بناية أخرى.

من خلال كل تلك السنوات الماضية، بدأ فجر الحقيقة يبزغ ببطء.إن كل هذا العمل، والجبال من العمل، لن تحقق فوائد خالصة للبشرية.جبال العمل، السدود والقنوات، والمضخات، والحواجز - إذا كان هناك أي شخص قد غير العالم فهو مهندس المياه. إنه يمكنه رفع الأراضي الخصبة من البحر الأجرد من الأراضي المستصلحة والقنوات، وانه يمكنه تركيب شبكة كهرباء جديدة للمحيط بأنبوب عملاق، وانه يمكن إطعام أمة جائعة. بدلا من بناء النصب الحجرية عديمة الفائدة فانه يبني أبنية مفيدة (في وقت لاحق اقتربت الأهرام من أن تدمر عمل السد الأول عبر نهر النيل)بدلاً من العويل من الفيضانات والمجاعات فانه يطلق عليها الرصاص في مساراتها. هل هناك أي شيء خطأ في ذلك؟ هل هناك نقطة أبعد من أن يترك الرجل وراءه العمل الزراعي الشريف ويدخل كرة الانحراف المفرغة من العواقب غير المقصودة؟ من بناء السد الذي يجلب المرض والبؤس وكذلك النمو السكاني؟

ونحن نعرف أن الزراعة أدت إلى انخفاض في الصحة العامة مقارنة مع أساليب الحياة البدائية للصيادين. على سبيل المثال، عادة ما يحتفظ الصيادون بجميع أسنانهم حتى الشيخوخة. وما أن يطحن الدقيق، يصبح تسوس الأسنان معتاداً بين السكان المزارعين. لذلك، كل صعود في سلم التكنولوجيا يؤدي إلى انخفاض في صحة الفرد ولكن زيادة في عدد السكان. وقد تزامنت السدود في مصر مع النمو السكاني الهائل - من خمسة ملايين في عام 1890 إلى خمسة وثمانين مليون اليوم. جميعهميعيشون على نفس الشريط من الأرض - فقط تسقى أفضل وتسمد كيميائيا أكثر تقريبا من أي أرض سوداء على هذا الكوكب.

الاتصال، والتعايش بين النمو السكاني المتسارع وحجز النهر، ووقف التدفق، يبدو مهما. لا يوجد أي رابط مفيد، ليس هناك من أرض مخصصة رسمياً يمكن أن يعملوا فيها، لا شيء حقيقي من هذا القبيل. ولكن اذا بدا شئ من هذا القبيل لكنا قد وضعناه في موضعه بالفعل.لو بدا ذلك واضحاً كانت المشكلة ستعالج. وأتساءل عما إذا كان كل الذي سمح لنا به في أي وقت مضى هو تلميحات، قرائن غامضة، أدلة غير رسمية، وشائعات يمكن الاستفادة منها. العالم يريد منا ممارسة الحكم، ونحن نريد أن يتقلص ذلك، ونحن نريده أن يكون سهلا. وحاول ويلكوكسأن يصلح، ولكن الضرر كان قد وقع، والمسار قد خطَّ، وصب السائل في القالب. إلى أي طريق تنقلب لا يمكنك التراجع عن السد. الزمن فقط هو الذي يمكن أن يفعل ذلك.

تعافيت من مرضي الغريب،وعادة ما يحدث ذلك للمرء.أنهويلكوكس حيلته العملية في مصر تلك البلد التي كان من الواضح يحبها ولا أدري على وجه التحديد كيف كانت وفاته.

تبخر النيل :

مهما كان مقدار عطشك لن تستطيع أن تشرب كل النهر " مقولة بوغاندان"

مثل كثيرين، إن لم يكن معظم التكنوقراط المثاليين، كان ويلكوكس يرى أن كل تقدم يخلو من مشاكل خطيرة. لذلك، فقد أخطأ أمر المرض، وغاب عن خلفائه أمر التبخر .المحاولة الأخيرة لتحويل نهر النيل في توشكى، "لجعل الصحراء تزدهر"حول الحافة الغربية لبحيرة ناصر، لاقت فشلا مدويا. كان المشروع الضخم، الذي بقي في حيز الخيال فترة طويلة، للقادة المصريين من الرئيس جمال عبد الناصر (والبريطانيين من قبلهم) لتحويل نهر النيل إلى الوادي الجديد - نظام وادي الصحراء الذي يحتوي على الواحات الرئيسية الثلاثة من الصحراء المصرية.هناك بعض الأدلة على أنه منذ ملايين السنين، قبل أن يتشكل النيل، عبرت شبكات الأنهار في الصحراء في عدد من الأماك. كان أحدها ما يسمى نهر العوينات الذي يغطي الآن بحر الرمال العظيم الليبي المصري. شجعت هذه المعرفة فكرة أن نهراً جديداً يمكن أن يبنى، قناة، تنقل المياه، مياه الصرف الصحي إذا أردت، من خزان في بحيرة ناصر

إلى الصحراء. في تسعينات القرن العشرين كان يهلل للمشروع كمنقذ لمصر. بحلول عام 2010 كنت بالكاد تسمع كلمة عنه. أنتجت المجاري حول توشكى أفدنة من الأراضي الزراعية أقل بكثير من كان يتصوره حتى أكثر المراقبين تشاؤما .وكانت الملوحة مشكلة دائمة تبدو غير قابلة للحل.وقد جعلت من ازدهار الصحراء خطأً مكلفاً .

مما يجعل حقيقة النيل - النهر الوحيد الذي يعبر الصحراء-أكثر من رائعة، إنه فعل ما لم يستطع الانسان من تقليده في أعماله العظيمة .الأهرامات قد تحاكي الجبال الصغيرة، ولكن ما زال علينا أن نبني نهراً مثل نهر النيل.إن النيل كنهر حي، يتحرك أسرع من أي قناة من صنع الإنسان، نجا مما يقتل كل المياه في الأماكن الساخنة: التبخر.

الخيول تتنزى، الرجال يعرقون، النساء يتوهجن بالبلل، والأنهار تتبخر - طالما أنها تتحرك ببطء كاف وعلى نطاق واسع بما فيه الكفاية. كما يفعل النيل عندما يخترق مستنقع السدود سيئ السمعة.

مستنقع السد لافت للنظر لأنه مسطح جاً . في الواقع فان تسطيحه ينتشر لمدى بعيد حتى أنه من الصعب أن نتصور كيف يمكن للنهر أن يقلع ففي 250ميلا يبلغ المنحدر حداً من الصغر إلى 0.01 في المائة بما فيه الكفاية فقط للسماح للنهر بالتدفق الضعيف هبوطا إلى البحر الأبيض المتوسط 3,000 ميلا إلى الشمال.

وبما أنه مسطح جدا وبطيئ الحركة، فان السد يمتص الماء. قرر ويلكوكس وفريقه أن القناة سوف تحل مشكلة التبخر. ولكن حتى القناة كانت خاضعة لأشعة الشمس التي لا ترحم. حتى مع وجود القناة الناقلة للمياه في خط مستقيم عبر المستنقع، فإن الزيادة في تدفق النهر تافهة فهي 5% أو 7% إذا قرأت تقارير أكثر تفاؤلا أخرى.

بأي طريق قطعتها، في المناخ الجاف الساخن فان كميات كبيرة من المياه تضيع من خلال التبخر. إنهاتحتشد في بحيرة ناصر قبل أن تندفع من خلال توربينات سد أسوان، والنيل يفقد 10 في المائة من حجمه كل سنة ما إن يستقر في البحيرةوبطبيعة الحال، هذا هو رقم تقريبي جداً . عندما تذهب لتبحث عن كيفية حساب التبخر ستدرك أن الكثير من التقديرات يجري استخدامها. في البداية عليك أن تخمن حجم تخزين الوعاء - إذا كان ذلك البحيرة أو ضفة النهر. ثم عليك أن تحسب الخسائر عن طريق وسائل أخرى.

من الواضح تماماً أن الماء قد فقد من خلال التبخر، وعندما تكون المياه ضحلة والرياح ساخنة، فإن تلك الخسائر يمكن أن تكون كبيرة جدا في الواقع .الناس قلقون .وتشير إحدى الخطط الشاذة إلى نشر شبكة ضخمة من الأغطية البلاستيكية على بحيرة ناصر للحد من التبخر.

لقد قلنا أن التبخر للأنهار هو كما العرق للبشر. إن البعض يعرق أكثر من الآخر. بفقد بعضهم قوته بالكامل من خلال التبخر وبالكاد يسبب مشكلة للبعض الآخر. النيل ينفق 2000 ميلاً الأخيرة من رحلته إلى البحر يتعرج عبر أكبر صحراء في العالم.إنه يفقد كثيرا من خلال التبخر على الرغم من حوض الصرف الكبير له - أكثر من 10 في المائة من مصارف أفريقيا هي في حوض النيل - إنه يدخل البحر في رشيد ويبدو وكأنه نهر أوروبي محترم ودون عرض مثل ذلك الذي لبحيرة حقيقية لأنهار الغابة في آسيا وأمريكا الجنوبية. يعرق النيل بشكل سيء، وما لا يفقد من خلال أشعة الشمس فإنه يفقده في مستنقعات السد.النيل يفقد معظم المياه في مصر في شهر يوليو. وفي السودان فإنه يفقد أكثر في ابريل. في الجنوب، في أوغندا وجنوب السودان، يفعل ذلك بسبب الأمطار الصيفية، والحد الأدنى للتبخر في شهري يوليو وأغسطس.

تماما كما الرجل تفوح منه رائحة العرق ويترك طبقة مالحة على قميصه، وهكذا فإن النيل يرسب الأملاح وهو يعرق في طريقه عبر صحارى مصر والسودان. تلك الأملاح تتراكم أكثر بدلا مما كانت عليه، لأن الفيضان السنوي، قبل بناء سد أسوان، تعود أن يجرفها بعيدا. والآن فان القميص المعروق لا يغسل أبداً والقنوات الجانبية أكثر ملوحة. والآن لم يعد ذلك الطمي يلقى في كل عام لتخفيف تأثير الملح،

أصبحت الأرض أقل خصوبة، وهي في حاجة أكثر إلى الأسمدة، التي ترشح في النهر ومرة أخرى تزيد مستوى الملح.

ولكننا قد تغيرنا- من الطبيعي بما فيه الكفاية عندما ينظر المرء أن الري هو فن التغيير. لقد حان الوقت للعودة إلى مصدر آخر النيل، مصدر كل ما هو رومانسي وغامض في مصر - إنه الماضي الفرعوني القديم.

الجزء الثاني
النيل القديم
المجاعة، والأوبئة وقطع القضيب

1.الأحمر والأسود:

أرادت جرة الماء أن تختبر أحجار ل سوداني.

الأحمر والأسود همالونا مصر القديمة، في حكم الأسر الأولى في مصر. وفي شظايا الآنية الفخارية التي يجدها المرء في الصحراء، فان الأحمر والأسود يسودان في أقدم أجزاء الآنية التي تعود للعصر الحجري الحديث على الكثبان الرملية. الأحمر والأسود لونين يمكن بسهولة عملهما. الأحمر من أكسيد الحديد - الصدأ - أو من المغرة الحمراء، والأسود من الفحم أو الغار، أو الكربون بصورة أساسية. عرفت مصر باسم" الأرض السوداء " بسبب تربتها الخصبة. كيمي يعني' الأسود 'في المصرية القديمة، والتي بتعريبها تصبح الخيما - الذي يصبح بدوره "الخيمياء"، السحر المصري الذي سعى الأوروبيون في العصور الوسطى للاستعانة به في أحلامهم للثروة أو التنوير. وكان الأحمر هو أرض الصحراء ومياه النيل. الأحمر والأسود لا يزالا لونا مصر، ولا يزالا لونا العلم الوطني.

الأحمر هو لون الثورة والسياسة الراديكالية، التغيير - أو التطلع للتغيير. تغييرات النهر، ليست هي نفسها أبداً مع أنها هي نفسها دائماً . للعثور على أجوبة حول نهر النيل تتبع الأحمر.

ريمون روسيل، الكاتب الفرنسي الطليعي، تعود أن يؤلف شعره باستخدام السماع والتورية الذي يقترح مادة الموضوع. إنه بالكاد أقل جرأة أن تقترح أن تتبع لونا لكشف الحقائق حول موضوع. وبعد يحتاج المرء إلى البدء في مكان ما.

واحد من أقدم أسئلتي، عندما أقرأ عن نهر النيل، كان: كيف كان القدماء يعرفون الكثير عن النيل من دون أن يزورونه؟ وبالقدماء أعني في المقام الأول المصريين القدماء.تم تمرير هذه المعرفة في وقت لاحق من خلال اختيار الكهنة لأولئك المسافرين مثل هيرودوت، الذين سجلوا بإخلاص ما قد قيل لهم. كيف علم المصريون القدماء أن النيل الأبيض يرتفع في جبال القمر؟ وبما أننا نعلم أن أي مسافر ذاهب إلى الجنوب يجب أن يقطع أكبر مستنقع في العالم، السد، وبما أننا نعلم أن السد قد هزم فيلقين بعث بها الإمبراطور نيرون للتحقق من أصول النيليين، لدينا كل الأسباب للاعتقاد بأن ذلك من شأنه أن يهزم أي من المصريين يكون قد سافر في وقت سابق.

إتباع الأحمر- في هذه الحالة، ربما يكون دليلاً على الصحراء الحمراء. في عام 2007 اكتشف بورد ومحمود ماريه الهيروغليفية المصرية عميقاً في الصحراء- أعمق من أي نقش معروف تم العثور عليه.وجدت الهيروغليفية القديمة حوالي أربعين ميلا في الصحراء بالقرب من واحة الداخلة - على بعد 200ميلاً من النيل –والتي كان يعتقد أنها تمثل المسافة الأبعد التي غامر المصريون بالدخول إليها في الصحراء.

ولكننا نعرف أنه في السلالات السابقة، منذ أكثر4.000 سنة مضت، في الزمن الذي تعود إليه هذه النقوش، كان المناخ أقل جفافاً بكثير مما هو عليه الآن.النقش في عمق الصحراء، على الرغم من أنه على بعد أميال من الواحة، كان قريباً جداً من جبل العوينات، وهو نقطة توقف لرجال القبائل البدوية التبو حتى قبل نصف قرن - حتى وجدوا هم أيضاً أنه غير مضياف.النقش يتعلق

باجتماع بين مسافر مصري يدعى تيكيبيت وشخص من أرض اليام يجلب البخور. هذا يشير إلى وجود طبيعي جدا لطريق تجاري مستقل لنهر النيل يمتد عميقاً إلى وسط أفريقيا، وربما مصدر للأخشاب العطرية التي تستخدم كبخور في ذلك الوقت. إذا وجد هذا الطريق التجاري إلى ما يعود إلى 3000 قبل الميلاد أو أسبق، والذي يبدو مرجحاً، سيكون لدينا طريقاً داخل أفريقيا يرجع إلى عهد بعيد أكثر من كل ما كان يتصور سابقا .الأدلة المؤيدة تأتي من رواية هاركهوفHarkhuf، الأمير الفرعوني، من الأسرة السادسة، حول 2300 قبل الميلاد، الذي سجل أنه كان قد بدأ من أرض يام على طول "طريق الواحات."وكان يعتقد أن هذا يعني أنه بعد ذلك عاد إلى النيل من نقطة بدايته في الواحة. ونحن نعرف الآن أن الأمر ليس كذلك، إن روايته لرحلاته الأربع لليام - كل واحدة استغرقت سبعة أشهر - يجب أن تكون عبر الصحراء العميقة وعميقاً إلى جنوب الصحراء الأفريقية، وربما عبر تشاد.نقش هاركهوف تفاصيل أسفاره على قبره: "عدت بثلاثمائة من الحمير مثقلة بالبخور والأبنوس والعطور الهيكينو، والحبوب، وجلود النمر، وانياب الفيل، والكثير من الأقواس، وجميع أنواع الهدايا الجميلة والجيدة." كما تحدث أيضاً عن الأقزام-الذين يقطنون منطقة أسفل منبع النيل الأبيض. وهذا دقيق للغاية، لأن الأقزام ظلوا أسطورة حتى أول مستكشف حديث-ستانلي- في عام 1887 – 1888 " الذي اكتشف أنهم" في منطقة غابات إيتوري خلال حملة إغاثة أمين باشا سيئة الطالع.

جبل عوينات، على الحدود بين ليبيا والسودان ومصر، هو موطن العديد من الكهوف التي تحتوي على الفن الصخري الذي يرجع إلى ما قبل، أو ربما يتزامن مع، رحلة هاركهوف. النقش الذي وجد في عام 2007 يقع على صخرة حوالي أربعين ميلا جنوب جبل عوينات، أعلى جبل في البر الرئيسيلمصر -

بارتفاع 6,345 قدما فقط - لكنه يرتفع مباشرة من الصحراء التي تقع أقل من ألف قدم فوق مستوى سطح البحر.

إن نقشا يعثر عليه على بعد 300ميلاً من أقرب واحة حديثة هو أقوى الأدلة الممكنة أن الصحراء كانت خصبة نسبيا حتى قبل بضعة آلاف من السنين. لم تكن هناك الجمال في مصر في ذلك الوقت - لقد جاءت حوالي عام 500 قبل الميلاد مع الغزاة الفرس - لذلك كان الشكل الوحيد من أشكال النقل في الصحراء هو الحمار. وقد وجد المستكشف الألماني كارلو بيرغمان سروجا، وأواني وغيرها من الأدلة لسفر الحمار الفرعوني على طول الطريق إلى عوينات، مؤكدا هذا النمط من النقل.

أسرار أخرى تجد حلها . في عام 1998 تم اكتشاف أن قلادة الصدر لتوت عنخ آمون، الجعران الشفاف المنضد في الذهب، ليس كما كان يعتقد في السابق أنه مصنوع من الكوارتز. لقد كان من الزجاج. ولكن ليس ذلك الزجاج من صنع الإنسان. لقد نحت هذا الجعران من زجاج السيليكا الطبيعي، والمعروفة باسم التكتيت، الذي وجد في منطقة نائية من بحر الرمال العظيم حوالي 150 ميلا إلى الشمال من عوينات. التكتيت هو الزجاج الطبيعي، الذي شكل في هذه الحالة من قبل نيزك تحطم في الصحراء منذ ملايين السنين وقد صهر الرمل إلى زجاج. ولكن حقيقة أن الزجاج، الذي تم العثور عليه في منطقة صغيرة 200 ميلا من واحة، يمكن نقله إلى النيل من الأدلة مرة أخرى إلى أن الصحراء لم تكن قاحلة أو من الصعب السفر عبرها كما هي اليوم.فقط مجيء الجمل جعل السفر ممكناً في هذه المنطقة في عهد الجفاف الحالي. إنه لن يكون عمليا السفر إلى هناك بالحمير الآن.

لذلك، لدينا قطارات من الحمير تمتد عميقاً في الأرض الحمراء للصحراء، تطوق مستنقعات السد، وتهبط فيما يسمى الآن جمهورية أفريقيا الوسطى والكونغو للانضمام إلى النيل في بحيرة ألبرت، ربما باستخدام جبال القمر للتنقل.

اكتشاف العلامة(بوردا) هي حلقة أخرى في سلسلة تؤكد المعارف القديمة عن مصدر النيل. فقدت هذه المعرفة، وشوهت، وإعيدت صياغتها وتم تجاهلها في الألفية التالية، تطفو على السطح الآن، ومرة أخرى - في الخرائط الرومانية، أو في التقاليد الشفوية للقبائل البدوية في الصحراء.

سألت مرة بدوياً في الصحراء المصرية، من أين جاءت الرمال. التقط واحدة من أصداف المحار المتحجرة المنتشرة على حافة بحر الرمال العظيم، "هذا عندما كان البحر هنا، ثم ذهب البحر إلى الوراء تاركا الشاطئ." إنه تفكير حديث، بعلم كما نفعل الآن عن الحركة واسعة النطاق للبحر الأبيض المتوسط، ويميل إلى الموافقة بأن الصحراء هي الشاطئ العملاق الذي خُلّف بعد ملايين السنين من الذهاب والإياب لمياه البحر فوق شمال أفريقيا .

الورق والرصاص

في اليوم الذي تتمنى العنز الموت، فانها تلعق أنف النمر. مثل أثيوبي

تستخدم الحجارة في الصحراء، للرسم والنحت، ولكن هبة النيل - ورق البردي - من شأنهأن يسمح بالكتابة لتصبح خاصة وفعالة وقادرة على الحركة. مع أوامر وتعليمات مكتوبة على الورق كان من الممكن السيطرة على أكثر من مدينة. على الرغم من وجود أدلة معقولة أن ميسوباتاميا Mesopatamia القديمة كانت موطناً لأول دولة مدنية ، كانت مصر القديمة هي التي اخترعت الدولة القومية الأولى. وكان البردي هو المفتاح. (ويا للسخرية، فان نبات البردي قد انقرض في مصر في خمسينات القرن العشرين و كان لا بد من أن يعاد من أعلى النيل من قبل عالم الآثار الدكتور حسن رجب، مؤسس الحديقة غير العادية في القاهرة، قرية الدكتور رجب الفرعونية - لا ينبغي تفويتها !).

عندما يقطع ورق البردي، العشب الأفريقي الطويل، يفرم، ويسحن، وينقع ويوضع في الخارج ليجف في الشمس وجد أنه ينتج منه الورق، ولكن هذا لم يكتشف إلا عندما بدأت القبائل الصحراوية التحرك نحو النيل، حيث بدأت الأمطار بالهطول.

كما رأينا، قبل 7.000سنة كانت الصحراء مليئة بالحياة البرية، وكان فيها ماء كافٍ. وكان نهر النيل مستنقعاً، مكانا يجب تجنبه. ثم تغير الطقس ووجد سكان الصحراء أن النهر خلاصهم. وأصبح النهر الواهب للحياة مصدر إلهام لأسطورة كاملة.

يمكن للأسطورة أن تدون في ورق البردي، ذلك الورق المعجزة الذي وجدوه على طول ضفتي النهر. والقصص، تلك القصص الأقدم، كانت مليئة بمخاوف سكان الصحراء – الخوف من الغرق، الخوف من الاجتياح بواسطة هذه القوة المائية للطبيعة.

ورد في القصص المصرية القديمة، أن دموع إيزيس على زوجها أوزوريس هي التي شكلت الفيضان الذي يعطي الحياة لنهر النيل. وكان أوزوريس السلطان الحكيم لمصر القديمة الأسطورية وإيزيس شقيقته التوأم وزوجته قد شكلا معا زوجاً مثالياً كان لديهما ابناً كاملاً، أيضا، ويدعى حورس.

ولكن لديهما أيضا شقيق سيئ تماما، وهو سيت أو سيث. يوصف سيت بأنه إله الصحراء والعواصف الرملية. مما لا شك فيه انه يمثل نفور سكان النهر الجديد ورفضهم للمكان القاسي الذي صارت إليه الصحراء. والفضل المعترف به حديثا للنهر تمثله الآلهة "الجيدة" - إيزيس وأوزوريس وحورس. يمكننا ان نلاحظ الطريقة الغريبة التي صور بها سيت، آذان متضخمة لثعلب وأنف مثل تلك التي لخنزير الأرض – وكان كلاهما من سكان صحراء السافنافي ذلك الوقت. وفي وقت لاحق، وتمشيا مع النمط الرئيسي لسفر الصحراء، مُذِّل سيت كحمار.

كان الولد السئسيت يغار من كل الحب والاهتمام الذي يلقاه شقيقه كرب وحاكم لمملكة النهر الجديدة المزدهرة في مصر. في الأراضي الوعرة، في الصحراء، بدأ مؤامرة الانتقام منه. كان واحدا من الأمور التي يقوم بها سكان هذا النهر الجديد عندما يتوفى شخص، أن يستخدموا صندوقاً كتابوت ويحفرون قبراً بدلا من الكهوف والحجارة كانوا يستخدمونها فى الصحراء. في الواقع، يبدو أن سكان النهر أصبحوا مهووسون جدا بالموت. وكان لسيت خطته.

في رواية أقرب للقصة القديمة لسندريلا "إذا كان الحذاء يناسبها"، حضر سيت حفلة للآلهة مع تابوت معدني كبير. كانت الآلهة غريبة الأطوار بهذا الشكل. وسأل سيت الجميع الاستلقاء عليه واختبار حجمه. إن الفائز سيحصل على تابوت معدني جديد جاهز ليلتف فيه حين موته (على عكس معظم الآلهة، يمكن للآلهة المصرية أن تموت). في بعض الروايات فان التابوت المعدني هو ببساطة تابوت حجري مغطى بالمعدن، ربما لجعله موصداً ضد الهواء والمياه.

وبطبيعة الحال، أخذ سيت قياسات أخيه سرا وصنع التابوت بنفسه في الصحراء حيث يعيش لوحده. وكانت مفاجأة سارة عندما وافق الضيوف المهذبون بسهولة على لعبته وأصبحوا يتناوبون الاستلقاء في التابوت الحجري المغطى بالمعدن، لمعرفة من الذي يناسب التابوت بالضبط. عندما استلقى أوزوريس فيه، فاذا بسيت الغيور بالتآمر مع ملكة إثيوبيا (يكاد يكون من المؤكد إنها إشارة مشفرة لإثيوبيا القديمة كونها مصدر من الفيضانات)يحكم إغلاق الغطاء، ويهرع به عابراً الضيوف المندهشين ويسقطه في النيل.

هل يستطيع المصريين القدماء السباحة؟ ونحن نعلم أن المستكشفين الأوائل لاحظوا قدرة النوبيين التي لا تصدق على السباحة ، وهم سكان كثير من أراضي الطرف الجنوبي من مصر القديمة، لذلك، يبدو من المؤكد تقريبا أن القدماء يستطيعون السباحة. هنا حمامات في أطلال قصر ربما كانت تستخدم للسباحة وهناك الكثير من الرسوم التوضيحية في جدار قبر لأناس يسبحون. من المؤكد أن سيت ساكن الصحراء يخشى الماء أكثر مما يفعل أوزيريس أو إيزيس.

حتى لو كان أوزوريس يستطيع السباحة، فانه لم يكن هوديناياً،لذلك، فانه قد غرق محاصراً في تابوته الرصاصي. إيزيس عثر عليه، لكنه ترك التابوت بلا مبالاة مطلقة في المستنقعات (الغريب أنه قد سبق قصة موسى).ماذا كان يفكر فيه؟ إن سيت، مثل البدو الذين سيخلفونه، كان دائما عالقاً حول حواف المياه في انتظار أن يقع عليه أحد البدو التعساء.

وهكذا، أثناء ما كانت أوزوريس بعيدة،وسيت يمارس الصيد بعيداً، عثر على التابوت.مستخدماً أفضل سيوفه، كان له قصب السبق في فتح الغطاء.وبشيء من اختلال العقل، وعالماً بدون شك بقدرات الإله على التجدد، قام بتفكيك الجسد إلى أربعة عشر جزءاً .

عاد إيزيس إلى مسرح المذبحة ضعيفاً ولكن مؤمناً .ومن الضروري أن أوزوريس، مثل كابتن مارفل، في وقت مبكر، قد تم تجميعه حتى يتمكن من العيش مرة أخرى - في عالم الجحيم. وجدت إيزيس، وهي تتنقل والدموع تنزل منها في حزن، ثلاثة عشر من أربعة عشر جزءاً من أجزاء الجسم المدمى. لقد بكت لمدة أربعين يوما وليلة تبحث عن الرابع عشر - الذي كان بالطبع ، قضيب أوزوريس. وفاض النيل من كل تلك الدموع.

وفي الوقت نفسه لم يكن من المستغرب أن إيزيس الباكية لم تجد القضيب المفقود حين قد كان أكل من قبل أسماك أوكسيرينخوس الجائعة. ويبدو من المرجح أن مدينة أوكسيرينخوس الصحراوية المحاذية لنهر النيل قد سميت على اسم السمكة.الغريب، أنه نفس المكان الذي تم العثور فيه على آلاف القطع من ورق البردي مدفونة تحت الرمال.وقد حفظها ذلك تماما والكثير من معرفتنا عن مصر القديمة، بما في ذلك روايات هذه الأسطورة، قد أتي من هذا البردي المجفف.

سيئ الحظ جدا، إيه؟ أن يؤكل شيئك الخاص من قبل الأسماك، ناهيك عن أن تنقسم إلى أربعة عشر قطعة. ولكن، هذا يجري في عالم الآلهة، إيزيس، بعد تشكيل قضيب بديل من الذهب، تمكنت من أن تنشد لأوزيريس حتى يعود إلى الحياة لدرجة حتى يحصل على دفن بصورة لائقة.ومع ذلك كان لا يزال ميتاً . على كل حال، كان قادرا على أن يحصل على وظيفة أعلى في العالم السفلي، وليصبح في نهاية المطاف، ملكها.

وهذا هو المكان من حيث تدفق النيل.

ووفقاً لحاشية غريبة فقد روي في الترجوم (ترجمة آرامية للكتاب المقدس العبري) أن يوسف دفن في النيل وأن تابوته اكتشفه موسى ملقىً على أرض المستنقعات. رغم أن لا تقطيع أوصال قد الحق به مما يشي بمماثلة غريبة بعثور إيزيس على نعش أوزوريس.

2. الجنس المثلي على النيل القديم

أين يقضي المرء ليلته أكثر أهمية من أين يقضي المرء يومه. مثل نوبي.

الإله المصري القديم ست أو سيث كان مثلياً سيئاً . ليس مجرد ثعلب وحمار، ولكن أيضا يصور أحيانا كعقرب وخنزير - الحيوانات النجسة.ولم يقنع بقتل شقيقه المقدس، فان ست قد اقترف سلوكاً يجعله في عداد المغتصبين، حين حاول أن يغتصب كل من إيزيس وحورس، على الرغم من أن حورس تمكن من تمزيق إحدى خصيتيه.

وعلى عكس الروايات المستقيمة المتواترة عن أصولنا التي صورت في الديانات التوحيدية العظيمة، كانت تلك التي تنتمي إلى مصر القديمة غير محتشمة بصورة مميزة.في أول تمثيل حرفي ربما للجنس الشرجي، أجبر ست حورس على علاقة جنسية مثلية معه. ولكي يمسح مهانة هذا الاغتصاب حصل حورس على انتقامه عن طريق جعل سيث يأكل الخس المشبع بالحيوانات المنوية (الذي مسح عليها حورس حيواناته المنوية).

واضعين في الاعتبار أن سيت مثّل أكثر الأفعال المكروهة، فإنه ليس من المستغرب أن النصوص الدينية للمملكة القديمة (الأسرة الثالثة إلى السادسة منذ حوالي 4100-4600 سنة) تعتبر ممارسة الجنس المثلي وسيلة غير مشروعة لاخماد شهوة المرء الجنسية. الأمور لم تتغير كثيرا في آلاف السنوات التي تلت إلى فترة عصر الدولة الحديثة (من الأسرة الثامنة عشر إلى الأسرة العشرين حوالي 3100 - 3600 قبل الميلاد): حينما تروى الأمور السيئة التي لم يفعلها المرء (كوسيلة ليظهر بهيئة جيدة في عيون الآلهة)، في فصل من كتاب الموتى (مجموعة من النصوص الجنائزية المصرية) فانه يتلو "ولم تكن لدي علاقة جنسية مع رجل، ولم أمارس العادة السرية في أي من الأماكن المقدسة."إنها فكرة مبتكرة جداً . تخيل الصلوات المسيحية بما في ذلك الأمر بعدم ممارسة العادة السرية عندما تكون أمام المذبح.

في نص التابوت (والذي كان من قبل كتاب الموتى) نتعلم: "آتوم ليس له سلطة على الميت، بدلا من ذلك، المتوفى يلقح له أردافه". في أساطير حورس، ينظر للجنس مع رجل كتحقيق للتفوق لرجل على الآخر، وليس فعلاً للحب - نفس الأخلاق يمكن العثور عليها اليوم في السجن في الولايات المتحدة. فالشريك الايجابي يمكن حتى أن يفخر بالفعل، في حين أن الشريك السلبي الذي "تلقح أردافه"كان مخزياً وملحقاً به العار.وكان العامل الحاسم ليس النشاط المثلي، الذي كان يعتبر محايداً أخلاقيا، ولكن حقيقة أن مني رجل آخر يدخل جسمه. وهكذا حصل حورس على الانتقام عن طريق ايلاج حيواناته المنوية في جسم سيت خلسة - وإن كان من طرف آخر.

في النصوص المصرية القديمة فان الحيوانات المنوية، في النشاط الجنسي المثلي، تعتبر نوعا من السم أو شيئاً مهلكاً للشخص المُنْتَهَكُوأُ لْمِح إلى الاغتصاب مثلي الجنس الأسطوري بالتعاويذ السحرية التي وضعت للحماية من لدغات الحيوانات السامة. إن ست، في فورة جنسية جنائية أخرى، اغتصب الإلهة أنات اغتصابه للذكر (والتي كانت، لحسن الحظ أو ربما لسوء الحظ، قد اختارت أن تظهر في شكل ذكر).تستخدم هذه الواقعة الصغيرة في التعويذة التي تحمي ضد لدغ العقرب.

في ترنيمة منف القديمة روي أن الإلهين الشقيقين شووتفنوت كانا يخشيان بشدة من ميول عشق الصغار التي لوالدهما آتوم – واحد من أهم الآلهة. كان آتوم ذلك يستطيع أن يرفع فرعون من قبره حتى النجوم. وهكذا فانه على الرغم من الأوامر ضد الشذوذ الجنسي يبدو أن الآلهة يفعلون ذلك، ويرمون زنا المحارم في نفس معادلة العار أيضاً .

ويوضح نص أدبي قديم للدولة ، من دون صور، الفساد والانحراف برواية العلاقات الجنسية المثلية بين الملك نيفكير والجنرال سيسينيت. من المثير للاهتمام، أنه لا يوجد تقريبا أي تمثيل مصور للممارسات الجنسية غير العادية، وبصرف النظر عن سلسلة من الرسومات البذيئة من قبل الفنانين والحرفيين، وربما لأغراض الدعابة، على جدران العديد من عصر الدولة الحديثة (الفترة من القرن

السادس عشر إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد - يحتوي على الأسرة الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرين) في مقابر طيبة.وكان قدماء المصريين، على الرغم من حكاياتهم الوقحة، لا يميلون إلى التصوير الخلاعي.

وكانوا أيضا متسامحين أزاء نظام المعاشرة الخارج عن المعتاد. قبر "الصديقين"، الذي يعود تاريخه إلى الأسرة الخامسة، حوالي 2500 قبل الميلاد، يعتبر دليلا على أن علاقة المثلية الجنسية كانت معروفة على أعلى مستوى، لأن كلا الرجلين، نيانككنوموكنومهوتيب (حاول تكرار تلك الأسماء بسرعة)، كانا أعضاء في الدائرة المقربة للفرعون.وكان الرجلان في حاشية الملك بمسمى وظيفة "المشرفين على العناية بأظافر اليد بالبيت الكبير"، والذي يراه بعض المنظرين المحافظين كدليل إضافي على ميولهم الجنسية. نعم - إن مانيكير الملك لا بد أن يكونشاذاً . وهكذا تشارك الصديقان برد نفس القبر، من ناحية أخرى، فانها فقط إشارة لقبول المجتمع غير العصابي وتكريمه لرفيقين طيبين.

معظم الأدلة تشير إلى أنه، مع الازدراء التام الذي وقع فيه ست، كان السلوك الوحيد الذي يوجه له اللوم هو اغتصاب الذكور، و"همتي-تجي"، أو، حرفيا، إيجار الأولاد. الميل الجنسي إلى الأطفال، أيضا، كان محتقراً، وفي هذا المجتمع القائم على العار أسوأ جريمة كانت إثارة الفضيحة والتعدي من خلال الأفعال الجنسية التي ترتكب علناً . نعود إلى مدمني المعبد مرة أخرى. إن الحذر الشديد لقدماء المصريين من مغبة الاقدام على ذلك علنايوحي بأنه كانت لديهم شيئاً من الممارسة للجنس في الهواء الطلق، في الصحراء ربما.

فيما يتعلق بالسحاق يظل المصريون القدماء بلا نشاط ملاحظ. هناك جملة واحدة في كتاب الموتى حيث تتلو المرأة المتوفية فضائلها، على أنها "لم أكن أصاحب امرأة مسترجلة"، ولكن هذا ما زال ذلك يترك المجال مفتوحا على مصراعيه إلى حد ما.

4. الأهرام ومينا الغامض

يعتبر كلب عائلة العراف عرافاً . مثل مصري.

الأهرام تقف على منحدر يطل على القاهرة. من موقف السيارات أمام الهرم الأكبر فانك ستهيئ نفسك عقليا ضد الهجمة على ورق البردي وبائعي البطاقات البريدية حتى مع وجود سياج "الأمن" الجديد الذي يطوق الأهرام، لا يزال هناك الكثير من الباعة المتجولين كما يمكنك قفل سيارتك أو تسلق الميكروباص الذي تفوح منه رائحة العرق.ستنجذب ليس كثيراً للحجم الذي لا يصدق والجلال المتكتل للأهرامنفسها والمشهد الذي لا يصدق للمدينة خارج نطاق السيطرة، مهدداً بتسلق المنحدر وأن يغمر حتى تلك الآثار الأعظم، هرم خوفو، آخر الباقين من عجائب الدنيا السبع القديمة في العالم، ويتعقد أنها بنيت في الأسرة الرابعة قبل حوالي 4500 سنة.

الآن، إذا أردت، فانظر وراءك، إلى القاهرة، بطبقات الضباب الدخاني، وأبواق السيارات التي تصدح في جنون، جبال الأحياء الفقيرة الباهتة، التي تجيش بأمواج الحرارة (إنها مباني بنوافذ ولكن بدون زجاج). هذه الكتل الحمراء والرمادية، بنيت من عوارض خرسانية رمادية ملئت بأكثر أنواع الطوب

الأحمر هزالاً كجدار للتغطية (اتكئ على تلك الجدران لتنهار مثل ستارة، أو هكذا أعتقد دائما)، يتم بناؤها على أطراف أراضي زراعية، بشكل غير قانوني، لأن الناس يتدفقون على القاهرة بتلك الطريقة التي لم يفعلها من قبل سوى النيل.

حيث أسراب هؤلاء الجماهير تحتشد، حتى سد أسوان الأول، كانت سلسلة من أحواض الفيضانات الخصبة للغاية والتي تمتلئ كل صيف عند فيضان النيل. بعد ذلك فانها تترسب في حقول الأرز والقمح. في واقع الأمر، المنحنى المرتفع، والمعروف باسم هضبة الجيزة، أو في السابق الجبال الليبية، التي تشير إلى بداية الصحراء الكبرى، يقف في الطريق الذي لا نهاية له من انتشار الغمر الصيفي للنيل.

هذا هو أحد الأسباب وراء بناء الأهرام هنا. وهذه هي أول أرض صلبة عالية عند السفر من النيل في القاهرة إلى الصحراء. حوالي عشرين ميلا الى الشرق، في اتجاهين متعاكسين، هناك منحنى آخر – جبال المقطم ، حيث كان يؤتى بمعظم الحجر الأصلي الذي يغطي الأهرام.

كان نهر النيل هو الوسيلة التي إستخدموها لنقل الأحجار. تفكر في ذلك - لم يكن هناك المركبات ذات العجلات(لم تظهر عربات حتى عصر الدولة الوسطى، حوالي 2000 - 1600 قبل الميلاد، من الأسرة الحادية عشر إلى الثالثة عشر، والتي أدخلت، كما يعتقد ، من قبل الهكسوس، غزاة من غرب آسيا لمصر)تحتاج إلى مئات من الكتل الحجرية يومياً لتحول من أحد جانبي النهر إلى الجانب الآخر.

يمكنك استخدام الفيضانات. ليس هو فقط نهر اليوم المتسع بشكل كبير ، لديك أيضا الكثير من الأحواض والقنوات لتوسيع نطاق النيل إلى أبعد من ذلك. يمكن رفع الحجر إلى طوافات منالبرديويعوم عبره إلى الجانب الغربي حيث هناك الحاجة إليه. وبما أن الفيضان يحدث خلال الفترة الأسخن عندما لا يجري أي عمل، لديك قوة العمل المتاحة للمساعدة خلال المناورة.

بالنسبة للجرانيت المجلوب، حجر السماق والبازلات القادمة من صعيد مصر، يمكن للمراكب أيضا استخدام النيل لكي تنزل إلى النهر ثم مياه الفيضانات لتقترب من الأهرام.

ليس هناك شك في ذهني أن الأهرام وأبو الهول تشكلان تقليداً اصطناعياً مثالياً للمنزل الصحراوي للمصريين الأوائل .هم بالأحرى مثل سفينة القراصنة النابضة بالحياة في لاس فيغاس، هي هناك لتذكيرك بشيئ غريب ومختلف ولكن لا يزال مقنعاً إلى حد ما وأساسياً . وكأن المصريين الأوائل كانوا يقولون، ونحن الآن قد انسحبنا من الصحراء يجب أن لا ننسى من أين أتينا.

يذكر هيرودوت أن فرعون الأول، والمعروف باسم مينا حسب الروايات في وقت لاحق على الرغم من عدم وجود سجل معاصر بهذا الاسم، بنى مدينة ممفيس، أول عاصمة لمصر القديمة، بعد أن وحد ممالك مصر العليا والسفلى. اختارهاكعاصمة (فقط على بعد بضعة كيلومترات جنوب القاهرة الحديثة)، وتقع مباشرة تحت الدلتا حيث ينقسم النيل إلى قناتين رئيسيتين، لأن هذا كان بداية صعيد مصر (مصر السفلى هي المناطق الخصبة للدلتا إلى الشمال).

المناطق الخصبة في الدلتا. أو أين هي، في ذلك الوقت؟ يقول لنا هيرودوت إن مينا، جفف مناطق المستنقعات على النيل ليوفر أرضاً لممفيس. وقد فعل ذلك عن طريق بناء أول سد على نهر النيل. وكانت مناطق المستنقعات هذه هي السبب الأول لبقاء المصريين القدماء في الصحراء. الصحراء في ذلك الوقت، كما رأينا، كانت قادرة تماما على أن تساعد في الحياة وليس تلك الخاوية القاحلة التي أصبحت عليها تدريجياً . لذا، فمن المحتمل جدا أن مينا وشعبه اختارممفيس لأنها، على الرغم من المستنقعات، كانت أقل وحلاً من الدلتا قبل 5.000 سنة. إنها كانت أقرب بقعة سكن إلى البحر الأبيض المتوسط.

وحتى ذلك الحين لم تكن منطقة للسكن. لا تزال هناك حاجة لبناء سد، أو سدود، لتحويل النهر. السبب معيار معين هو أنه يريد أن يبني على الجانب الغربي لنهر النيل، ولكن في تلك الأيام ركض مسار النيل الحق تحت التلال الليبية.مفيد لتسليم الحجر ولكن غير مريح كمكان لبناءٍ أقل وأسفل ولذا، افترض مينا تحويل نهر النيل إلى مستوى اعلى فيكوشيش اثني عشر ميلا من المنبع - وهذا هوجنوبممفيس.وجاء هذا السد من قطع الحجر، كماقيل لنا، وكان خمسون قدماً و 1500أقدام اتساعاً .

إن السبيل الوحيد لكي يمكن لمثل هذا السد الصغير أن يعمل ضد القوة الهائلة لنهر النيل أن ينقسم النهر بالفعل إلى عدة مجاري، وكان سد مينا ببساطة وسيلة لتحويل مجرى إلى آخر. في جميع الاحتمالات فان النيل في تلك المرحلة كان منقسماً بالفعل إلى فروع. إن مينا عمل على مجرد تأجيل هذا التطور حتى الدلتا. وعلى الأراضي المستصلحة بنى ممفيس.

أين هي ممفيس الآن؟ تحت المسار الجديد لنهر النيل؟ دمرت لانشاء البناء الأحدث من القاهرة؟ غاصت تحت الطمي منذ عصور؟ ربما شئ من كل من أولئك الثلاثة. كعاصمة للمملكة القديمة ربما لم تكن بمثل الضخامة التي هي عليها في عصر الدولة الحديثة - طيبة، والآن هي في الوقت الحاضر الأقصر (الذي أتى اسمها من الاسم العربي للقصور).

ونحن نعلم أن حتى يتم بناء السد العالي في أسوان - عندما تم تخفيض الطمي كثيرا في الكمية (سد أسوان الأول عام 1902 سمح للفيضان بالمرور خصيصا لتجنب مشكلة ترسب الطمي) - كان وادي النيل يزيد خمس بوصات كل مائة سنة. وهكذا، أكثر قليلا من أربعة أقدام كل ألف سنة - حتى تمت إضافة عشرين قدما منذ بنيت ممفيس قبل 5000 سنة. ما تبقى من المدينة سيتعين أخراجه من الأرض التي ستصبح مغمورة بالمياه على الفور، والتي تتطلب، بقدر ما تتطلبه الآثار في الدلتا أيضا، عمليات ضخ لسحب للمياه ثابتة ومكلفة.

كيف استطاع مينا تحويل النيل مع عدم وجود حفارات ثقيلة ومضخات؟ يعطينا ويلكوكس فكرة عندما يتحدث عن السُخرة، العمل الملزم بالقوة في القرن التاسع عشر (للفلاحين)، مزارعي الدلتا، المجبرين من قبل حاكم مصر لحفر الترع وبناء الحواجز ضد الفيضانات. وأشار إلى الآلاف من الرجال الذين يعملون بأيديهم العارية وينقلون الطين على ظهورهم.الشادوف في الحقيقة هو دلو على رافعة طويلة؛ مرجح بوزن في أحد أطرافه، إنهيتأرجح في المجرى الأدنى ويفرغ المياه إلى أعلى. يكتب ويلكوكس، "إنهم يرفعون المياه بأكثر من مائة شادوف تعمل جنبا إلى جنب. وكان كل شادوف عليه أربعة رجال، يعملون بلا انقطاع ليلا ونهارا بالتناوب بحيث لا يتوقف الشادوف أبدا لمدة دقيقة. وبالإضافة إلى ذلك كان لكل شادوف أربعة أولاد يعملون بالتناوب ... لمساعدة الوزن عندما يصعد الدلو ...إنني لم أرَ أبدا مشهداً في مثل تلك القوة والحيوية؛ في حين لم يكن من الممكن رفع مجرى المياه الناتج من قبل أكبر محرك محمول .هناك أجزاء من مصر، حيث لم تتغير الأمور منذ العصور الفرعونية. يمكننا أن نفترض أن القدرة على العمل في انسجام تام في أعداد كبيرة، والتي شوهدت في وقت متأخر من القرن التاسع عشر، كانت مشابهة جدا لتلك التي مكنت رجال مثل مينا، منذ آلاف السنين، من تغيير مسار النهر، وبالطبع، بناء الأهرام.

5. مضخة النيل

عندما يجف المستنقع، فان رائحته تصير أكثر سوءاً . مثل سوداني.

إن دخول مينا في كل تلك المتاعب ليس أكثر غموضاً من الأهرام نفسها. ولكنه يصبح أكثر قابلية للفهم عندما نرى أن قدماء المصريين قد تعلموا بالفعل السيطرة على النيل من خلال استخدام بحيرة موريس، ما يعرف الآن ببحيرة قارون في واحة الفيوم.

بحيرة قارون، عندما تنظر إليها من الطريق السريع في الفيوم، فإنها تبدو مثل البحر. هناك موجات كبيرة تحتضن الشاطئ ويقف الصيادون على الماء حتى مستوى خصورهم يرمون الشباك.

ولكن البحيرة كانت تموت، أو على الأقل تصبح أكثر ملوحة بمرور الأعوام. وهذا يمكن أن يكون ذو صلة مباشرة بحجز النيل في أسوان. في عام 1902 عندما تم بناء أول سد باستخدام خطط ويليام ويلكوكس تم ترويض نهر النيل. بقيام السد العالي في عام 1970أصبح النيل ممحوقاً .بدأت الملوحة بالزيادة حوالي بداية القرن العشرين بسبب الانخفاض في التدفق السنوي للغمر. مع انخفاض أثر الطوفان لم تعد القنوات التي تمتد من النيل إلى بحيرة قارون تمتلئ بنفس المعدل. بدأت البحيرة تصير أكثر ملوحة. بحلول وقت السد الثاني لم يكن هناك ماء يدخل في البحيرة. كان مصيره قد ختم عندما بدأت الأسمدة المستخدمة حول البحيرة تدخل إلى الماء أثناء جريانها - الحاجة إلى الأسمدة كانت نتيجة مباشرةلنهاية

ري الحوض، والذي كان يعتمد على طمي النيل، وبداية الري الدائم بالسد عندما تمت إضافة الأسمدة إلى مصدر المياه الدائم.

إن بحيرة قارون، أو موريس، قد تضخمت ثم تضاءلت في الحجم كما اكتشفت ذلك بنفسي عندما زرت قصر شرم الصاغة مع صديقي العزيز المستكشف طاهر شاه. قصر شرم الصاغة هو معبد المملكة القديمة (على الرغم من أنه غالبا ما يدرج بصورة مشوشة في عصر الدولة الحديثة) والذي يقف على بعد ميل أو أكثر من الحافة الحديثة لبحيرة قارون، وهو محاط، برمال الصحراءتقريبا. وراء ذلك ترتفع طبقات من الجرف تحتوي على كهوف النساك والرهبان المسيحيين في وقت لاحق. لماذا بني هنا إن لم تكن البحيرة قد بلغت هذا الحد من العمق داخل البلاد؟

ونحن نعلم أن الشاطئ قد تراجع بشكل كبير في وقت عصر البطالمة بسبب المدينة المهجورة ديمه(Dimeh)التي تقع في موقع أقرب إلى حافة البحيرة، على بعد أميال قليلة من قصر شرم الصاغة. إن ديمه مليئة بالفخارالمكسورالروماني، والجدران من الطوب اللبِنْ. قبل ثلاثة آلاف سنة استخدم بناة قصر شرم الصاغة كتل قطع البناء الضخمة بشكل غير متساو ولكنها مركبة مع بعضها باتقان - يمكن رؤية نفس تقنية البناء نفسها في جدران كوزكو في البيرو وفي هيكل أبو الهول في الجيزة.

وكان اهتمامي الخاص بقصر شرم الصاغة ليس فقط بسبب موقعه على حافة حوض النيل الأصلي، ولكنه مستمد أيضا من ارتباطه بكل شفاينفورتوويلكوكس - الرجال الذين معرفتهم المشتركة لنهر النيل ربما تكون غير مسبوقة. كانوا أصدقاء، وعندما كانوا في القاهرة، اعتادوا على الخروج معا حول وادي دقلة، وهو المكان المفضل الآن للمتنزهين في الجبلكان شفاينفورت مشاركاً ثانوياً في الحملة التي قام بها غيرهارد رولفس في عام 1873 عبر الصحراء. كنت قد نسخت هذه الرحلة في عام 2010، ووجدت أن شفاينفورت كان مبالغا في صعوبات الاقليم.من الغريب أن هذا جعلني أشعر بتعاطف أكثر وليس أقل معه. عندما يتم تمويل رحلة استكشافية من المال العام يشعر المرء بالواجب لجعل الأمر يبدو بطولياً . الأمر الذي كان بطولي في الواقع كان رحلته في وقت لاحق إلى قلب أفريقيا إلى الأرض الأسطورية بونغو، حيث سجل بدقة عادات أكلة لحوم البشر من شعب أزاندي. ولكن سنتحدث أكثر عن ذلك لاحقا.

كان شفاينفورت المكتشف الأصلي لقصر شرم الصاغة الغامض، والذي يتكون من غرفة كبيرة داخليةويبدو وكأنه سبعة خلجان للتماثيل. وهناك أيضا عدة غرف غامضة لا يمكن دخولها إلا من خلال حفرة بالقرب من الأرض بحجم رفرف قط كبير. ولكن ما غاب عن شفاينفورت وجميع علماء الآثار اللاحقين، على الرغم من أنني واثق من أن ويلكوكس لم يفعل، هو أن قصر شرم الصاغة كان معبداً للكهنة - المماثل لذلك الذي وجد في سيوة حيث ذهب الاسكندر الاكبر لاكتشاف سبب فيضان النيل (ومعرفة ما إذا كان سيحكم العالم، إن كان يمكن تصديق رواية الجغرافي سترابو). في سيوة، حيث انتهت رحلة شفاينفورت للصحراء، كان هناك معبد كهنة آمونإنه يجلس رأساً على علو خمسين قدماً من المكونات الصخرية وهو عبارة عن سلسلة من الغرف غير المنظمة، والمثيرة للاهتمام وذلك أساسا بسبب علاقتها بالآثار، ولكن أيضا لأنها تكشف عن المكر الساذج في ممارسة الفنون الكهنوتية. عالياً في الجدران هناك ثقوب، حسب التصميم. جنبا إلى جنب مع الجدار هناك غرفة ضيقة أو ممر والتي من خلالها يمكن للمرء أن يسمع ما يقال داخل الغرفة. أو ربما يمكن للمرء أن يترنم بنبوءة من داخل الممر وسوف تظهر الكلمات كما لو أنها تقال بطريقة سحرية. إذا كانت الجدران معلقة مع مطرزات أو ألواح الخشبية، كما يجب أن تكون، فإن ثقوب التواصل تكون مخفية، وتعمل مثل نظام التلغراف السري للسفينة.

نفس مجموعة المتابعة مشاهدة في قصر شرم الصاغة، وقد لفت انتباهي لها من قبل جوستين مجذوب:ممر سري يمر داخل الجدار الخارجي مع وجود ثقب صغير في أحد الأطراف في جدار مدخل المعبد. مدخل الممر السري من السهل عدم ملاحظته – إنه باب ضئيل في الجدار الخارجي - ومما لا شك فيه أنه قد خبئ في أوقات سابقة، لكي يكون ثقباً للتحدث أو الاستماع في المدخل الرئيسي المهيب.

واللافت هو ليس غياب التشابه عن شفاينفورت ولكن ليس هناك وصفا واحداً لعالم آثار في قصر شرم الصاغة يشير إلى وظيفته الكهنوتية الواضحة. يمكن للمرء أن يفترض بأمان أن وضعه كان على علاقة بطريقة أو بأخرى بوظيفة بحيرة قارون/موريس كخزان منظم لنهر النيل. يمكن للمرء أن يفكر بأن الكاهن قد تزود بمعلومات مسبقة عن مدى الفيضان وعن مدى كبر الامداد الذي يمكن أن يصل ضمن نطاق البحيرة. فمن شأن هذه المعلومات أن تكون ذات فائدة في غاية الأهمية. ربما كان المعدل الذي تمتلئ عنده البحيرة سيكون له بعض التأثير على حجم الفيضان. ربما استخدمت المؤشرات الرئيسية الأخرى بالأحرى استخدام المضاربين في السلع اليوم مؤشرات متقاطعة معقدة للأحوال الجوية والكوارث الطبيعية لحساب السعر المستقبلي للتجارة.

كان مدخل بحيرة قارون هو القناة المحولة المعروفة لقرون باعتبارها قناة يوسف. اقترح ويلكوكس، مهندس مياه النيل الذي لا مثيل له، أن القراءة اللصيقة لسفر (التكوين) تشير إلى أن يوسف قد ضبط بحيرة قارون في مرحلة حاسمة من تاريخ الكتاب المقدس.

بقايا السدود الأصلية ليست محل سؤال - الصروح التي تماثل السد الضخم من قطع الحجر الموجودة على هرم هوارة (حيث اكتشف أيضا عالم المصريات فلندرز بيتري لفافة البردي التي تضم الكتاب الأول والثاني منالياذة هوميروس). لا تزال قناة يوسف تمر خلال ثلاثين ياردة من الهرم، وبسبب زيادة مستوى النهر في فصل الشتاء فانها تغمر مدخل الهرم.

لكن السيطرة على بحيرة قارون تعود الى ما قبل يوسف بمئات السنين، عندما تهاوى النظام في نهاية المطاف، ربما خلال واحدة من فترات عديدة من الاضطرابات بين الأسر، وازدهرت واحة الفيوم في قاع البحيرة القديمة. وتقلصت البحيرة إلى حجمها القديم .نحن نعرف هذا لأن الأدوات الحجرية لما قبل التاريخ وجدت في جميع أنحاء حافته الحالية. حتى الآن عندما تذهب أبعد ، أبعد من ذلك بكثير، قرب قصر شرم الصاغة نجد بقايا محار النيل -علامة يقين على أن حجم البحيرة لم يكن ثابتاً . على الجانب الآخر الأرض منخفضة بشكل رئيسي إلا حيث ترتفع على المنحدر في مستعمرة تونس المبنية بفن.هذه الأرض المنخفضة - كل المساحات الزراعية الخصبة - كان يمكن أن تكون تحت الماء لمدة نصف العام، حيث تعمل البحيرة كمنظم عملاق لانحسار وتدفق مياه نهر النيل.

مع مثل هذه السيطرة على النيل كان يمكن للدلتا أن تكون مروية أفضل على مدار العام. النيل - وفقا لسجلات تمتد إلى أكثر من ألف سنة – لم يفض فيضانين منخفضين واحدا تلو الآخر. إذا كان في أحد السنوات منخفضاً سيكون التالي دائما عادياً أو مرتفعاً . فكرة أن الفيضانات المنخفضة المتتالية تتسبب في المجاعات لا يمكن اعتمادها.كما هو الحال في إثيوبيا والسودان في العصر الحاضر، فان المجاعة هي نتيجة لكارثة طبيعية تضخم بصورة كبيرة عن طريق التراخي السياسي أو الاضطرابات. لذلك، على ما يبدو، أن البحيرة تعمل كمستودع حماية ضد احتمال فيضان منخفض، وأن مصر كانت أول دولة في العالم تنتزع السيطرة على إمدادات غذائها من حضن الآلهة.

في الليل عند غروب الشمس عبر امتداد البحر لبحيرة قارون ترى الأضواء الخافتة للصيادين العائدين إلى ديارهم، واثنين يعتليان على دراجات نارية رخيصة صينية الصنع. لقد كانوا يجالدون الماء كل يوم كما فعل أسلافهم لـ 5000 سنة أو يزيد. الآن حيث لا يوجد مزيد من الفيضانات لإعادة شحن البحيرة بالماء العذب، فإنه يتحول تدريجيا إلى الملح.حتى إن هناك بعض الحديث عن تخزين سمك (الباس) و(الشبوط).ولكن لا حديث جاد أكثر من ذلك. في غضون سنوات قليلة ستكون البحيرة مالحة جدا لأي نوع من الأسماك الصالحة للأكل. في واقع الأمر سوف تماثل البحيرات العظمى حول سيوة. إن معبدي الكهنة القديمين هما الآن صامتان ويواجهان صوت أعماق المياه الميتة.

6. الحياة الجنسية وسحن البردي

إذا تحدث المرء عن كل شيء يبقى القلب فارغاً .مثل إثيوبي

في هذه السيرة للنيل الأحمر يجب علينا ألا نتقاعس عن الكشف عن كل شيء. ثقافة الصحراء الصامتة التي أفسحت الطريق إلى ثقافة النهر الوافرة، بفضل رسومات بردية تورين الجنسية (تزين "أقدم أنواع مجلات الرجال بصور لأوضاع جنسيه مختلفة)، ومن الأدلة على الشعر الغنائي القديم، قدرا كبيرا يمكن أن يعرف عن الحياة الحميمة للناس العاديين.

في الأسطورة فان إيزيس تحبو حول المستنقعات بحثاً عن قضيب زوجها. في الواقع، يبدو أنه في المسائل الجنسية، فأن المرأة المصرية القديمة تهيمن على الذكر، كانت صارمة نوعا ما، وبالتأكيد ليست ضعيفة الإرادة.

وخلافا للممارسات الجنسية اللاحقة لأكثر الحضارات ، كان الرجال المصريون يعرفون منذ سن مبكرة احترام النساء .كانت أعراف ذلك الوقت تجعل كل أحد يميل بقوة إلى الاعتدال الجنسي الذي يقتصر على المعاشرة الزوجية. وعلى الرغم من، أو ربما بسبب، الاحترام الذي يحصلن عليه من الرجال، كان من المتوقع من النساء أكثر من الرجال، أكبر ضبط جنسي للنفس. والسبب بسيط: القلق القديم حول الشرعية أو في قول آخر الذرية.

كان فيضان النيل طوفان من الدموع. تم توظيف بكائين محترفين في الاحتفالات الدينية ليبكوا بغزارة، وإنهم يبكون للنهر حقيقة. هؤلاء النساء (من أعمار متفاوتة - كون البكاء مهارة ليست مقتصرة بالصغار)، اللائي يمثلن أدوار الآلهة الإناث إيزيس وشقيقتها نفتيس في الاحتفالات الدينية، ويشترط أن يكن ممتنعات عن الاتصال الجنسي لفترات معينة.

وكان الأكثر صعوبة أن تكون الأنثى خادمة لواحد من زوجات "الآلهة."وهنا لا بد أن تكون محافظة على عذريتها مدى الحياة. يكاد يكون من المؤكد أن ممارسات التقشف للرهبنة المسيحية التي نشأت في الصحراء المصرية في حين كانت الديانات القديمة تتلاشى بعيدا، تأثرت بمتطلبات الامتناع عن ممارسة الجنس. وكان كهنة أبيس في ممفيس أيضا يرفضون أي شكل من أشكال العلاقات الجنسية.

بالنسبة لبقية الأشياء العامة لم تكن مقيدة جداً . يمكن للشبان الزواج في الثالثة عشر. الجنس في سن المراهقة كان مسموحاً به، طالما كان في إطار الزواج. لم يكن هناك حفل مدني أو ديني - العقود الوحيدة التي وضعت كانت بشأن حقوق الملكية المعنية في حالة الوفاة والطلاق، وأحيانا تصاغ هذه بعد فترة طويلة من بداية الزواج.

وكان الهدف من الزواج إنتاج الأطفال. بالنسبة لبلاء العقم كانت أدوية مختلفة متوفرة، وبعضها مثير للشهوة الجنسيةوكان هناك إعتقاد قوي في الخس في هذا الصدد، وهو ما يضيف غزلاً آخر لمضغ ست للسلطة المشبعة بالحيوانات المنوية التي سلمت له من قبل حورس. نبات آخر يفترض أن يضمن مساعدة الإنجاب معروف لنا بالاسم الذي يتعذر نطقه منف mnph. هذا كان يصور بحرف طرفي هيروغليفي وهو صورة واضحة للقضيب.

بالنسبة لأولئك الذين لم يكونوا يحاولون إنجاب الأطفال، وربما كانوا يثبون بشكل غير قانوني في الأماكن العامة، كانت هناك بعض الأساليب المعروفة على نطاق واسع لتجنب الحمل. كان أحدها غير عادي على الرغم من شعبيته كمانع للحمل، إنه الروث. ووصفة يتم إدخالها في المهبل، قبل ممارسة الجنس، إنها مكون من روث التماسيح والعسلأو الراتنج (مادة صمغية). ويقترح آخر إدخال أطراف أغصان السنط (التي تحتوي على الصمغ العربي) والتمر والعسل.حاول شق طريقك من خلال هذا الكوم. يتصور المرء أن الوقاية تكمن أكثر في عرقلة الدخول من إضعاف صفات الحيوانات المنوية في هذا الدواء.

دفنت العديد من مومياوات الأمهاتوالأطفال معاً مما يشير إلى مخاطر الولادة. أولئك الذين نجوا أرضعوا حتى سن الثلاث سنوات. كان الطلب على حليب الأم في ارتفاع - ليس فقط للغرض المقصود، ولكن أيضا كعلاج لنزلات البرد، وأمراض العيون، والأكزيما والحروق وحتى التبول في الفراش. على الرغم أنه من الصعب أن نرى كيف يمكن أن يستفيد أشخاص آخرون غير الأطفال من اللبن، فان قائمة

الأشياء التي يمكن أن تعالج توحي أنها مأخوذة من الأمراض التي يمنعها أو يثبطها لبن الرضاعة في الأطفال. وبعبارة أخرى لاحظ قدماء المصرييناالفوائد التي تعود على الجهاز المناعي والتي يمنحها الحليب البشري، وهي الفوائد التي يؤكدها العلم الحديث الآن فقط.

ماذا كان يحدث على طول هذا النهر العظيم قبل 4.500 سنة أو أكثر؟ الكثير الذي تم تمريره إلى الأديان التي أتت بآخرى، كما رأينا. كان الأولاد يختتون، وإن كان في وقت متأخر، حول عيد ميلادهم الثاني عشر . هناك مشهد في سقارة يصور الكاهن يجلس القرفصاء أمام صبي على وشك أداء الفعل باستخدام قطعة من الصوان، الأداة التقليدية - مما لا شك فيه من بقايا أيام عيشهم في الصحراء. ومثل سكاكين السيراميك المستخدمة من قبل الجراحين اليوم، لا شيء يقطع أنظف من قطعة حادة من الحجر.

ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن الختان كان هو القاعدة ولكن ليس عمومياً للرجال المصريين حتى بدأ الليبيون غير المختونين الاختلاط بالسكان. عندها فقط أصبح الختان ضرورة للنقاء الديني. يكاد يكون من المؤكد أن محاكاة الختان من قبل الديانات السماوية الأخرى، والمبررات المشابهة له كوسيلة للتميز عن الآخر، بدأ مع تأثير مصر القديمة.

ويحظر على جميع المصريين ممارسة الجنس في تلك الأيام ، وفقا للتقويم الديني، عندما يكون الآلهة أنفسهم منخرطين في ذلك.وكان هذا أقل من خمسين يوما في السنة - الآلهة فقط تحصل على القيام بذلك مرة واحدة في الأسبوع، وربما ليلة السبت.

وكما ألمحنا، فانه في الزيجات المصرية القديمة كانت تعتبر المرأة على قدم المساواة مع الرجل. وهذا غير عادي للغاية، مع الأخذ في الاعتبار المنظور التاريخي العالمي، وهو علامة، بالتأكيد، على تطور الثقافة. وكما لاحظ مستكشف النيل ريتشارد بيرتون (ليس ذلك الذي تزوج من كليوباترا - ليز تايلور - ولكن الآخر)، "علامة وجود ثقافة متقدمة أمر بسيط : المساواة النسبية بين الرجال والنساء ." وكان هناك حتى مثل هذا الزواج قبل أربعة آلاف سنة على ضفاف النيل حيث كان وضع المرأة تماما أعلى بشكل واضح من زوجهاتسجل رواية أن امرأة ثرية تزوجت من جندي من العامة أصغر منها سناً . امرأة أخرى تزوجت أول مرة ناسخاً وثم حرفياً .

في المستوى الاجتماعي الأعلى كان تنظيم زواج المحارم لحماية السلالات شائعاً . أبقي في الأسرة بكل طريق. تزوج رمسيس الثاني ثلاثة من بناته. وكانت الأساطير تدعم مفهوم زواج المحارم، أوزوريس تزوج أخته إيزيس، وعلى الرغم من ميوله العدوانية، تزوج أخته نفتيس. ومع ذلك، فمن المهم أن ندرك أن زواج المحارم لم يكن متفشياً كما هو الحال في مصر القديمة كما كان يعتقد من قبل. في الوثائق القانونية المتعلقة بزواج رجل وامرأة قد يتم الإشارة إليها باسم "أخ وأخت" وأدى هذا إلى الارتباك .في مثل هذه الحالة، هذه صيغة قانونية تشير أن كلاهما على قدم المساواة في الزواج، وليس شقيقان.

وإنما هو مؤشر قوي على العدالة النسبية لمؤسسة الزواج القديمة هذه لأنه يشار إلى الطرفين كأخ وأخت وليسسيداً وخادماً كما كان عليه الأمر في الغرب حتى وقت قريب.

تم اكتشاف عقد الزواج من العصر البطلمي، وغالبا ما يضع حدا زمنيا في عقد الزواج ينتهي به، وإذا كان الطرفان غير سعيدين، فانه يمكن فسخه. وقد ورد في واحد من سجلات البردي أنراعي الأوز لديه تسعة أشهر يمكنه قضاؤها، وبعد ذلك فان لزوجته أن تحصل على دفعة خاصة من المال، ربما لأنها تصبح حاملا.

وكان الطلاق، مثل الزواج، مسألة ليست مدنية ولا دينيةكان، أمراً منطقياً شخصياً . ومثلما هو الأمر في عصرنا الحاضر، كانت العديد من النساء أفضل حالا من الناحية المالية بعد الطلاق، وكثير من الرجال تدهورت أحوالهم.وكانت أسباب الطلاق هي تقدم السن والأسباب المعروفة: الخيانة الزوجية، والعقم، وعدم التوافق أو مجرد الرغبة في الدخول في الزواج مع شخص آخر. وعلى الرغم من وجود حرية كاملة في الطلاق، فإن أولئك الذين يفعلون ذلك دون سبب موضوعي يلاقون إدانة اجتماعية كبيرة. وبالرغم من ذلك، ومن الأدلة المتاحة، كانت غالبية الزيجات المصرية طويلة الأمد.

7. دخول موسى والطاعون الأحمر

رب النساء العجائز هو "النساء العجائز ." مثل نوبي.

سكان النيل اللطفاء هؤلاء، بزواجهم على قدم المساواة وميلهم لارتكاب أعمال فاحشة في الأماكن المقدسة، قد كانوا أيضا أعداء - عندما ينظر إليهم من منظور آخر، من نظر سكان إسرائيل القدماء. سكان النيل القدماء، المصريين، هم المستعبدون لبني إسرائيل، وبعد في هذا المرجل من الاضطهاد ظهر الدين الموسوي إلى حيز الوجود. لذلك، بمعنى من المعاني، كان العدو أيضا سبباً في التنوير وفي الحرية في نهاية المطاف.

يمكن تمييز الديانة المصرية عن الديانات الأفريقية الأخرى بحركتها نحو الضوء. بدلا من التركيز على عبادة الثعبان والتمساح (على الرغم من أن هذه تميز سمات العبادة المركزية)، اتخذت الديانة المصرية القديمة خطوة نحو عبادة الضوء المجردة: الشمس الواهبة للحياة نفسها .في حين تبدو عبادة الحيوانات الخطرة يحركها دافع الخوف، تبدو عبادة الشمس مدفوعة بالامتنان وبفهم علمي أفضل لينابيع الحياة.

ولكنه موسى وشرائعه التي تأخذنا إلى الخطوة التالية في تطور مفهومنا للألوهية .موسى هو الشخص الأول الذي أعلن أن الله مجرد، وأنه لن تكون هناك صوراً لتمثله.يذهب إلى أعلى الجبل، ويأتي مرة أخرى محملاً بالألواح الحجرية التي نقشت قوانين الدين الجديد. (يعتقد الكثيرون الآن أن الألواح كانت من الطين، التي كانت بالنسبة للغة المشتركة المسمارية الأسلوب المعتاد لتسجيل الكلمات).

ولكن موسى لم يعد صياغة الدين القديم لليهود في عزلة.انه عاش أيضاً حياة ترتبط ارتباطا وثيقا مع نهر النيل.

جوزيفوس، المؤرخ اليهودي الذي كتب في 94م، ادعى أن اسم موسى كان مستمداً من المصرية القديمة، وبعد ذلك اللغة القبطية: مو تعني "الماء"، وتستخدم بمعني "حفظ من" وهكذا، فان موسى أنقذ من الموت بأن ألقي في سلة على النيل، لقد أنقذه في الواقع النهر نفسه (ربما لما في ذلك من مزيج فريد من الفن الهابط الذي لا يقاوم والترفيه، هناك مشهد فعال حقيقة من هذا الحدث قد مثل كاملاً بدمية لطفل رضيع في سلة في متنزه على جانب النيل في القاهرة - في القرية الفرعونية التي تأخذ بالألباب للدكتور رجب والتي ذكرتها آنفاً).

كما كان النيل، على نحو فعال، مصدر كل المياه في مصر يمكننا أن نرى أن موسى، الذي أنقذ بواسطة الماء، هو بالذات نتاج النهر.ونحن نتعلم في سفر الخروج أن سبب "ولادته من جديد" عبر النهر، ، أن فرعون في ذلك الوقت قد أعلن مرسوما يقضي بأن جميع الأطفال دون سن معينة والذين كانوا من أصل عبري يجب أن يغرقوا في نهر النيل. بالتأكيد أنها ستكون وسيلة سريعة وواضحة لقتل عدد كبير من الأطفال الصغار غير المرغوب فيهم. (في وقت لاحق، نمت خرافة أن أي شخص يلقى مصرعه غرقا في النيل سيعود كشبح ليطارد الأحياء. وربما كان نتيجة لهذا القدر الكبير من القضاء بالقتل). وبحلول الوقت لفوز قيصر بمعركة النيل في 47 قبل الميلاد، عندما نصَّب كليوباترا ملكة، لم يعد النهر مكاناً لقتل الناس، وعندما كان يقضى على الخصم كان حريصا أن لا يُغْرق الضحية أو ينظر إليه على أنه قد غرق في حال اكتسب وضعاً شبحياً بين الجماهير).

ومع ذلك، فنحن نعلم، بأن موسى، يدين بحياته لنهر النيل لأن أمه، يوكابد بنت لاوي، صنعت سلة من القصب، صامدة للماء لدهنها بالقار وأرسلته بذكاء في اتجاه المصب إلى الشاطئ حيث كانت ابنة فرعون تستحم. سألت ميريام، أخت موسى، ابنة فرعون، التي فتنت بموسى، إذا كانت في حاجة إلى ممرضة ماهرة لتربي الطفل. وبما أن الجواب كان نعم، قدمت يوكابد بنت لاوي كمربية مثالية. وهكذا فان موسى، أصبح من كونه مدرجاً على القائمة للمستهدفين من قبل فرعون، إلى أن يربى من قبل والدته في بيئة الترف العالية للقصر الملكي. إن ذلك يغري المرء بالصراخ: هدف! بخداعه للنيل في موته، فإنه لم يتشبث فقط بالحياة، ولكنه كوفئ بأن أصبح أميراً .

في وقت سابق، يتحدث موسى في الكتاب المقدس، في سفر التكوين عن كونه من الجيل الثاني من الإسرائيليين ، ولد في مصر، وينحدر من يعقوب، الذي دخل إلى مصر بسبب الجفاف في أرض كنعان. كان أحد أجداد موسى هو يوسف، الابن الحادي عشر من اثني عشر ابناً ليعقوب، وكان يلبس معطفاً متعدد الألوان، لأنه يؤدي عدداً من الوظائف، وقد ارتفع ليصبح اليد اليمنى للفرعون بسبب قدرته على تفسير الأحلام.مع هذه الخلفية من ارتباطه بملك لليهود، لا تبدو حيلة وضع موسى في حضن الملك أمراً غريباً عنه.

ومع ذلك، فعيشه متخفياً كمحتال كان له تأثيره على موسى وأصبح شديد الحساسية تجاه محنة اليهود - الذين عوملوا، في ذلك الوقت، كمواطنين من الدرجة الثانية في مصر. ذات مرة غضب موسى غضباً شديداً من مصري ضرب يهودياً حتى أنه قتل المصري ثم أخفى الجسد (وبالتالي كسر واحدة من وصاياه في وقت لاحق).عندما تفشى الخبر هرب موسى في صحراء سيناء واختبأ كراعي. لقد عاش هناك لمدة أربعين عاما حتى بعث الله له علامة: الأجمة المحترقة عند سفح جبل سيناء (التي لا تزال ترى إلى اليوم تنمو أسفل الأرض المبهجة للدير المسيحي ، على
الرغم من أنه في غياب أي من الأنبياء، رفضت بثبات أن تشتعل) وبعد أن أثار انتباه موسى عبر أوراق الشجر المشتعلة، أمره الله أن يخرج العبرانيين من العبودية في مصر.

اسأل وسيستجاب لك. ولكن عندما سأله موسى، رفض الفرعون. بعد كل شيء، هذه قوة مفيدة كان يمكنه فقدانها. سأل موسى الله طلبا للمساعدة والله لم يخذله:بعث بلاءاً من الدم -محولاً مياه النيل إلى دم فقط لتخويف فرعون. والصياغة الدقيقة مفيدة لأنها تعطي مؤشرا على حقيقة ما كان عليه "بلاء من الدم". قص موسى أن الله قد أمره بالقيام بالآتي: "اضرب بعصاك مياه النيل وسيتم تغييرها إلى دم." السمك في النيل سيموت، وسوف ينتن النهر وبالتالي فان المصريين لن يكونوا قادرين على شرب المياه." (سفر الخروج 7: 17-18).

لم يوافق فرعون على مطالب موسى، وهكذا فان النبي هارون، بعصاه وتحت توجيه أخيه موسى، ضرب النيل وحوله إلى نهر من الدماء. من المؤكد أنه لا يمكن استخدام النهر كمياه فماتت الأسماك وكان كل ذلك نكبة. بلاء الدم على النهر استمر لمدة سبعة أيام.

بالتزامن مع ذلك، فإننا نجد في بردية إيبوير في الأسرة الثامنة عشرة (1550-1300 قبل الميلاد) –حين كان توت عنخ آمون ملكاً على الأسرة الثامنة عشرة -نقشاً يحتويعلى بعض أوجه الشبه اللافتة لهذه الفترة من الأوبئة التي أصابت مصر، خاصة وَباءْ الدم. يقول البردي: "الوباء هو في جميع أنحاء الأرض. الدم في كل مكان. النهر هو الدم. الناس ينكمشون عندما يتذوقونه." هذا واحدة من الحالات القليلة التي يستدل فيها بالتقليد على ما يعزز تجربة الآخرين.

وينص البردي أيضا على أن هذا الوقت هو وقت الثورات، تمرد العبيدعلى أسيادهم. وليس من الصعب أن نرى نصاً عبرانياً شبيهاً بذلك. ونظرا لاحتياجات القصص الشفوي والميثولوجي المطلوبة لتحويل الأحداث المربكة بلا شك في مصر إلى السرد القادر على البقاء على قيد الحياة خلال قرون من التكرار، فإنه يبدو من المعقول تماما أن هذه الأحداث حقا قد حدثت. إن محاولة إثبات أن الأوبئة قد حدثت حقا هو عادة ممارسة طيبة في التفكير الإبداعي، ولكن الأدلة العلمية الأخيرة تشير إلى أن القصة ترتكز إلى الحقيقة. وهكذا، إذا عانت مصر من عشرة من الأوبئة، ما هو الأول، هل هو نهر الدم الأحمر؟

وقد اقترح البعض الطحالب المزهرة، شيئا من قبيل المد الأحمر للطحالب التي شوهدت في خليج المكسيك .في حين أن أوجه الشبه بين ازهار الطحالب الضارة و"نهر الدم" مقنعة - كل منهما يخفض مستوى الأوكسجين بحيث تموت الأسماك والنباتات - قد يكون هناك تفسير آخر .تماما كما يصبح النيل أحمراً بفعل الطمي عندما يلتقي النيل الأزرق والنيل الأبيض في السودان، لذلك، في الأيام التي سبقت بناء أي من السدود، فإن وجود غمر النيل المفرط قد شهد مداً كاسحاً من الدم الأحمر يمضي إلى المصب. وإن استمرار وباء الدم سبعة أيام فقط أمر يوحي بحدوث فيضان واحد. والرائحة التي تركها الفيضان وراءه بعد أن انحسر - ترك الأسماك وقد تقطعت بها السبل وطين النهر في كل مكان - تتوافق أيضا مع الرائحة التي ذكرت في الرواية التوراتية.

لم يستسلم فرعون لمطالب موسى لأن سحرته ، على ما يبدو، يمكن أيضا أن يحولوا المياه إلى دم - ربما عن طريق مجرد خلط الكثير منالطمي الملون فيه. وإن كان البلاء القادم هو بلاء من الضفادع يؤكد نظرية الفيضان الكبير. بلاءات الضفادع هي، أو كانت حتى تم بناء السد العالي في أسوان، شائعة في مصر. وأنها تقع في وقت فيضان النيل في فصل الصيف. وهكذا، بعد الطوفان المفرط، جاء عدد كبير من الضفادع لتبتلي سكان النيل الأحمر أكثر من ذلك.

لقد رأينا أن بلاء الدم وبلاء الضفادع يمكن أن يكون لهما تفسير طبيعي. ولكن ماذا عن البقية؟ يبدو أن هناك عشرة من البلاءات التي تزداد حدة لإقناع فرعون بالسماح لموسى وقومه بأن يذهبوا.

وكان البلاء الثالث هو القمل. وقد خلص بعض العلماء وربما دلهم الغرور إلى أن قدماء المصريين لم يكونوا قادرين على التمييز بين القمل والقوارص 'غير المرئية' مثل القراد والذباب الصغير والبعوض الصغير.وبما أنني قد أمضيت وقتاً مع البدو الأميين الذين كانوا يدركون جيدا الاختلافات، أعتقد أنه من غير المحتمل أبداً أن القمل يعني أي شيء آخر سوى القمل. وينتشر القمل عن طريق الاتصال. وربما في الارتباك الناجم عن الأوبئة أهمل الناس النظافة الصحية وازدهر القمل.

وكان البلاء الرابع هو بلاء الذباب - من المحتمل جدا أنه البعوض أو الذباب الذي ينشر المرض من نوع ما مثل البراغيش أو ذبابة الرمل. إذا فسدت وماتت السمكة على ضفاف النهر يمكن أن تكون النتيجة بلاءاً من الذباب. مصر نسبيا خالية من الذباب بالمقارنة مع أجزاء أخرى من أفريقيا، لذلك بلاء من الذباب كان يمكن أن يكون غير عادي ومزعج، إن اليهود كانوا يعيشون، يا للعجب، في مكان في الدلتا المصرية، خارج المنطقة التي تعيش فيها ذبابة الرمل.

وكان البلاء الخامس هو نفوق الحيوانات. الرواية في سفر الخروج تنص على أن الحمير والجمال قتلت ولكن ليس الخنازير أو الماعز. وقد أدى هذا الوضع الشاذ الغريب العلماء إلى استنتاج أنه كان طاعون الخيل أو اللسان الأزرق، والأمراض الفيروسية تنتشر عن طريق ذباب البلاء الرابع. هذه الأمراض تؤثر في الحيوانات المذكورة في الكتاب المقدس ولكن ليس تلك التي لم تذكر وهي الخنازير والماعز.

للمرء أن يعتقد أن فرعون كان لديه ما يكفيه إلى الآن، بنفوق ما لديه من الإبل والحمير. ولكن لا - إنه لا يزال يرفض السماح لموسى وقومه بالخروج. لذلك، فإنه قد ابتلي بطاعون آخر. وكان الطاعون السادس طاعون الدمامل.كان يمكن أن يكون هذا كافياًبتفشي مرض الجمرة الخبيثة الجلدي، الذي يأتي عادة عن طريق التعامل مع الجثث حاملة الإصابة. بما أن الجمرة الخبيثة(Anthrax) يمكن أن تحمل بشكل سلبي من قبل الإبل والحمير. وربما كثرة الميتين الراقدين بالقرب تتسبب في تفشي المرض. الجمرة الخبيثة الجلدية التي تنتج الدمامل الأرجوانية القبيحة ، نادرا ما تكون قاتلة، على الرغم من أنها يمكن أن تؤدي إلى تسمم الدم والموت في ظروف معينة.

وكان البلاء السابع هو العاصفة الثلجية. يصدم زوار مصر في فصل الشتاء، بمدى برودتها لقد مررت بعاصفة برد في الصحراء الغربية - وهو المكان الذي من المفترض أن لا تمطر فيه (على الرغم من أنها تفعل).وقد تساقط الثلج مرة في القاهرة في القرن الماضي وربما انهمر البرد عشرات المرات. لذا، فإن هذا هو "الطاعون"، الذي من شأنه أن يصاحب فصل الشتاء الباردا جدا، على الرغم من أنه استثنائي، وحتى عجيب إلى حد ما، ولكنه قابل للتصديق تماما، حتى في المناخ الحار فإننا نتوقع ذلك في مصر.

لا يوجد حتى الآن ما يدعو إلى الرضا من جانب فرعون. ودعونا نواجه الأمر، فإن البرد ليس مروعاً إلى ذلك الحد. لذلك، فانه في البلاء رقم ثمانية أراد الله أن يخلص إلى المعنى الحقيقي: كان الوباء رقم ثمانية هو وباء الجراد .في أي بلد من بلدان الشرق الأوسط كانت حشود الجراد يمكن أن تقصد كل شيء يؤكل والمجاعة هي النتيجة المؤكدة. والناس يخافون حقا من هذه الأشياء. مرة أخرى، وخلال إقامة سبع سنوات في مصر، كنت حاضرا أثناء حادثتين سببهما الفزع من الجراد – بدأت الاثنتان من صعيد النيل متجهتان شمالاً . في أحدهما، طار الجراد فوق النيل وإلتهم معظم ما قابله في طريقه، ووقف فقط

على بعد أميال قليلة من ضواحي القاهرة. لأسابيع بعد ذلك وجدت الجراد الذي عصفت به الرياح يموت في الوديان الرملية على الجانب الشرقي من القاهرة .إن وباء الجراد، في عصر دون مبيدات أو أنظمة للإنذار المبكر والمراقبة الجوية، أمر مصدق للغاية. الإسرائيليون الذين يعيشون في جاسان - الآن منطقة شرق الدلتا - شمال ممفيس (في الوقت الحاضر القاهرة)، كان يمكن أن يكونوا آخر من يتأثر بالجراد، والذي، يكون قد توقف عن الاحتشاد. ما أن يتم أكل جميع محاصيل المصريين فانهم سيميلون إلى تناول المخزونات القديمة من الحبوب - والتي أدت، كما يعتقد الكثيرون، إلى الطاعون العاشر والنهائي.ولكن قبل ذلك كان البلاء التاسع: بلاء الظلام. بالرغم من وجود أدلة على أن انفجار بركان سانتوريني 1652 قبل الميلاد قد وزع كميات هائلة من الرماد في نهر النيل ومناطق الدلتا فإن ربط ذلك ببلاء الظلام (وبلاء الدم) ليس أمراً سهلاً كما حاول البعض القيام بذلك. والحجة هنا هي أن الانفجار تسبب في الظلام عندما حجب الرماد السماء، وبعد ذلك دخل النهر، مما جعله يتحول إلى دم أحمر. وإذا أردنا السماح بالتسلسل والصحة، فان بلاء الظلام يجب أن يجئ أولاً وبلاء الدم في وقت لاحق. ولكن إذا نحينا هذا جانبا، فان شرحا أكثر معقولية بكثير لبلاء الظلام هو شئ شهدته بنفسي في القاهرة: عاصفة الخماسين. وحقيقة أن بلاء الظلام يستمر ثلاثة أيام هو أيضا أمر مفهوم - العواصف الرملية (وفي الحقيقة هيالعواصف الغبارية، لأن العواصف الرملية الصرفة لا ترتفع أكثر من عشرة أقدام فوق الأرض) يمكنها بسهولة حجب الشمس لعدة أيام. إن وصول ريح حارة مفاجئة وشديدة للخماسين بعد نبوءة بالاظلام سيكون لها تأثير كبير على أولئك الذين اختبروها.

الطاعون الأخير هو الأكثر إثارة للاهتمام من ناحية، والأصعب في توضيحه. ومن ناحية أخرى كان الطاعون العاشر هو بلاء الموت للأبناء الأبكار. وهو أمر سيئ جدا في مجتمع أبوي حيث يميل الابن البكر للحصول على كل الحب والاهتمام. ولكن هنا يكمن المفتاح: الابن البكر هو الأبرز في أي مجتمع أبوي. بعد انهيار الموسم الزراعي التالي بعد البلاءات السابقة كان هناك نقص حاد في المواد الغذائية. إن مخازن سرية من الحبوب كانت تستحق ثروة - ومتاحة فقط لأولئك الذين كانت لهم الأفضلية: الأبناء البكر .ولكن الحبوب المخزنة لفترة طويلة جدا عرضة للسموم الفطرية والفطريات التي تنمو على السطح، مما كان سببا محتملا للوفاة السريعة. وقد افترض أن مجموعة من المواطنين الأكثر أهمية - إلى حد كبير الأبناء الأبكار -أغاثوا أنفسهم بالمخزون الأخير من الحبوب الذي كان حاملاً للسموم الفطرية. ويمكن لهذه أن تقتل من خلال مجرد الاستنشاق. عندما ماتوا جميعا، فإن إشاعة أن هناك وباء يقصد الأبناء الأبكار قد انتشر بسرعة.

لقد نجا اليهود كما يقولون: بفضل تناولهم لوجبة عيد الفصح، فان ملك الموت تجاهلهم. ولكن هذه الوجبة - من لحم حملان الضأن والخبز الفطير - كانت متاحة لليهود لأنه لا يزال لديهم بعض المواد الغذائية، فإن الجراد قد تركهم لوحدهم .وهكذا، غير متأثرين بالبلاءات السابقة، فإنهم كانوا غير مضطرين إلى مداهمة مخازن الحبوب القديمة.بمعنى أن عيد الفصح كان مظهراً لبقائهم على قيد الحياة أكثر منه سببا لذلك.

لايمكن لأي زعيم أن يقف ويتفرج على جميع الأبناء الأبكار يهلكون. لذا فان فرعون خضع وسمح لموسى بمغادرة البلاد.ولكن لكونه فرعوناً قمياً سيئاً، فانه بطبيعة الحال غير رأيه تماما حالما شدوا الرحال،قافزين إلى مركباتهم، أسرع الجيش المصري شمالاً لوقف هروب اليهود إلى سيناء وموطن كنعان.

8. موسى يعبر النيل الأحمر

الغبي والمياه يمضيان إلى حيث يقادان. مثل مصري.

تدافعت العربات وشقت طريقها على طول الطرق الترابية إلى الدلتا. اليهود، الذين فروا بجميع أمتعتهم وقطعانهم وممتلكاتهم، كان يمكنهم أن يروا الغبار يرتفع بعيداً وراءهم. وكان ذلك هو الوقت الذي يمكن فيه لموسى أن يدعو صديقاً . أو على الأقل أن يخرج خدعة جديدة من الحقيبة. إن الطريق الواضح لسيناء يتضمن متابعة الطريق الساحلي للبحر الأبيض المتوسط - وهذا هو الموضع الذي تصبح فيه الأمور مربكة، حيث أن البحر الأحمر بعيد من هنا – هناك فقط البحر الأبيض المتوسط على جانب

وخليج السويس على الجانب الآخر- البحر الأحمر لا يبدأ حتى تكون قد جاوزت بعض الطريق أسفل الساحل المصري. لذا، فإن هوية البحر الذي يفترق هي المشكلة الأولى.ثم، هل هُرعتْ قوات فرعون لكي تصل إلى حتفها؟ يبدو أن هذا الحادث الاستثنائي الذي يدعو المرء للشك، به بعض أساس من الحقيقة، على الرغم من أنه تمت المبالغة فيه لجعله لا ينسى في وقت كانت فيه مثل تلك القصص تروى ولا تقرأ.

في النسخة العبرية في سفر الخروج فإن البحر معروف باسم (يام سف)، إن سف أيضا تستخدم لتعني القصب في أجزاء أخرى من العهد القديم. لذا، من الغرابة – أن تؤدي في اللغة الإنجليزية ما تؤديه في العبرية – فان البحر الأحمر Red Sea يمكن أن يكون في الواقع بحر القصب Reed Sea. في وقت مبكر من القرن الحادي عشر، كتب الباحث التلمودي الفرنسي راشي أن البحر الأحمر ينبغي أن يكون معروفا باسم بحر القصب.

كما يلاحظ المرء عندما يدرس هيرودوت، الذي جاء لقرون عديدة بعد وقت موسى، ليس هناك شك، أيضا، أن دلتا النيل كانت دائما عرضة للتغيير - كما هو متوقع بعد 3.000 سنة من الفيضانات الغزيرة والإطماء. إن الفرع الذي لم يعد موجوداً من فروع النيل، ما يسمى بالذراع الغرينية أو الموحلة Pelusian arm(منpelousاليونانية التي تعني "الغريني 'أو' الموحل')، المعروف أيضا باسم"وادي مصر"، إلى الشمال والغرب من قناة السويس الحالية.ما كان يعرف باسم بحيرة تانيس قد يكون بالضبط بحيرة موحلة واسعة النطاق يغذيها هذا الفرع من النيل ويحتل المنطقة التي شطرت الآن من قبل قناة السويس.

في سفر الخروج نقرأ، "جعل الرب البحر يرتد بالرياح الشرقية الشديدة." إذا كنا نتحدث عن البحر الأحمر الحقيقي، أو حتى خليج السويس، فإن مجرد هبوب الرياح الشرقية يمكن أن يتسبب في موجات ضخمة لتتكسر على الشاطئ الشرقي لمصر – بالكاد يمكن أن يكون هذا هو طريق الهروب الكبير. ومع ذلك، فان بحيرة ترقد على المحور الشرقي-الغربي ستكون قد نضبت من الماء بواسطة الرياح الشرقية العالية. صمم كارل دروز، من المركز الوطني لأبحاث الغلاف الجوي في كولورادو، في عام 2010 نموذجا حاسوبياً لبحيرة مثل هذه لمعرفة ما إذا كانت الرياح قد تكشف الأرض الطينية المنبسطة تحت الماء.واكتشف أن رياحاً بقوة 63mph، أقل قوة من رياح بقوة إعصار عام 1987 في المملكة المتحدة - في واقع الأمر مجرد عاصفة قوية جدا – يمكن أن تكون قادرة على أن تعصف بالمياه المرتدة لمثل هذه البحيرة المليئة بمياه النهر وأن تترك القاع مكشوفاً .

يعوق "بحر القصب" طريق هروب الإسرائيليين لأنه يقع بين الساحل المستنقعي والبر الصحراوي الداخلي. ويمكن أن يكون أيضا طريقا مباشرا من ممفيس إلى سيناء.ربما فتحت رياح قوية طريقاً عبر السهول الطينية للنيل القصبي Reed Nile، وهو الطريق الذي لم يتمكن جيش فرعون المتسرع والساعي إلى الدماء من متابعته ... أو ربما فعلوا. وعند هذه النقطة خمدت الرياح بطريقة غامضة واجتاحت موجة من المياه طالبي الانتقام الذين لم يحالفهم الحظ.

سر موسى:

عندما يضرب الأحمق، فإن الشخص الحكيم الذي يجلس في الجوار يتعلم.مثل نوبي.

عندما كان موسى يهرب إلى صحراء سيناء، كان يراقب المياه تبتلع أعداءه. هنا صعد إلى جبل سيناء وتلقى الوصايا العشر من الرب. وهام هو وقبيلته على وجوههم لمدة أربعين عاما، وفي نهاية المطاف استقروا على ضفاف نهر الأردن - الأرض الموعودة.كان موسى ممنوعاً من الدخول إلى أرض الميعاد بسبب معصية في وقت سابق، لذلك كان على أخيه هارون أن يقودهم إلى الداخل.

العودة إلى النيل. فقط من هوفرعون الذي إما أن يكون جرف بعيداً أو ترك ليتبخر في الضفة؟ هذا هو الموضع الصعب لالتقاطهبذكر الكتاب المقدس فرعوناً واحداً فقط بالاسم وهو شيشاقShishaq. انه حاصر القدس وعموما خاض معركة في الأرض التي تعرف الآن باسم إسرائيل. لسنوات عديدة كان من المفترض أن شيشاقShishaqهو الزعيم الذي دعاه المصريون شوشنقShoshenq، وهو الفرعون الذي غزا كنعان - حيث عاش اليهود. التشابه في الاسم والمعارك التي سجلت جعلت الأشياء تبدو جيدة جدا، مع أنه لم يكن شيئاً يوافق عليه الجميع. لكنه لم يكن فرعون الخروج.

أي فرعون يقترن اسمه مع "موسى" أو شيئا من هذا القبيل – توثموسس Tuthmoses، رع-موسى - قد سجلوا كفرعون محتمل لزمان موسى. مرة أخرى ليس هناك الكثير ليدعم هذه الفرضية.أشار المتشككون لعدم وجود توثيق الأدب المصري للبلاءات العشر. ولكن من دون الفرضية اللاهوتية المعطاة من قصة موسى ليس هناك سبب وجيه للمصرييننللنظر في البلاءات أكثر من سوء حظ ظاهر - فلماذا الكتابة عنها كحالة خاصة؟ تشير ما يسمى بمسلة المجاعة إلى فترة سبع سنوات من المجاعة في الأسرة الثالثة (نحو 2685-2615 قبل الميلاد) قبل فترة طويلة من زمن موسى، ولكن هذه المسلة، المحفورة في الجرانيت على جزيرة في نهر النيل قرب أسوان، كانت في الواقع منحوتة في وقت لاحق من ذلك بكثير - نحو 300 قبل الميلاد. لذلك فإنها ربما استفادت من الأساطير الشرق أوسطية الواسعة لمجاعات السبع سنوات، والتي حدثت في ملحمة جلجامش (في سنة 3800، واحدة من أقدم الأعمال الأدبية المكتشفة)، وكذلك في الكتاب المقدس .وكانت المجاعات الأسطورية شيء يستحق الكتابة عنه في اللغة الهيروغليفية الصوفية الدينية. وربما تكون حقيقية أو ربما لا تكون. لذلك، فإن المصائب، بما في ذلك الفيضانات والمجاعات، كل ذلك كان جزءاً من تجربة الحياة على طول نهر النيل المصري عندما كان موسى حيا.

معظم طلاب علم الآثار يؤيدون أن رمسيس الثاني هو الفرعون الذي عاصر موسى وجها لوجه. وهذا بسبب شهرته وبسبب برنامجه الطموح للبناء، المذكور في بداية سفر الخروج. وهناك حالة أكثر إلحاحا، على كل حال، يمكن أن تنطبق على الفرعون خنفرعKhaneferre، والذي هو فريد من نوعه في قائمة الملوك التي جمعها مينيثوMenetho- على عكس رمسيس، الذي يوجد منه الكثير. لماذا هذه النقطة مهمة؟ لأن خنفرعKhaneferreأشير إليه كالوالد المتبني لموسى في كتابات المؤرخ اليهودي أرتبانوسArtapanus.

الأكثر إقناعاً، أن أرتابانوسArtapanus جمع عمله في القرن الثالث قبل الميلاد، عندما كان هناك العديد من السجلات الأصلية المتاحة في المعابد المصرية ومكتبة الإسكندرية، أكبر مكتبة في العالم القديم، التي بدأت حوالي عام 300 قبل الميلاد في مدينة أنشأها الإسكندر الأكبر. إذا كان أرتابانوس ببساطة يؤلف قصة، لماذا اختار هذا الفرعون الغامض؟ لماذا لا يذهب لفرعون مشهور مثل رمسيس الثاني؟ وإذا كان يعمل على نحو عشوائي، إحصائيا فان اسماً غامضاً مثلخانيفيرهو أقل احتمالا أن يتم اختياره من عدة أسماء لرمسيس.

هل يبدوخنفرع مثلبنّاء كبير لإثبات "الأعمال العظيمة" المشار إليها في سفر الخروج؟ نعم، هناك العديد من تماثيل الجرانيت السوداء الهائلةخنفرعالتي عثر عليها في تانيس في شرق دلتا النيل. وإذا قبلنا أن التسلسل الزمني فيه بعض المرونة - بالنظر إلى أن الفترات بين حكم الفراعنة لا يمكن أبدا أن تكون

معروفة بدقة بالغة - يبدو كما لو أن الخروج حدث خلال عهد الأسرة الثالثة عشر(حوالي 1800 قبل الميلاد إلى 1650 قبل الميلاد) وهو حكم الفرعونخنفرع.

ويدعم هذا أن أول ذكر، في أي مكان، لاسم إسرائيل - على مسلة نقشها مينيبتMineptah، ابن رمسيس !! وعليها وجدت عبارة "لقد ألقى إسرائيل بذرته في أرض جرداء، ولكن نسله ليس كذلك." وقد أدرجت الدول الأخرى كخاضعة للفراعنة وتشمل جازر، كنعان وهورو (فلسطين).الآن إذا كان الإسرائيليون قد فروا في عهد والده - وكان من شبه المؤكد أنهم لا يزالون يتخبطون - لماذا تم إدراجهم بوصفهم أمة خاضعة؟ كان يجب أن لا يكونوا موجودون حتى كأمة .رمسيس الثاني هو الأسرة التاسعة عشرة (1300 قبل الميلاد إلى 1185 قبل الميلاد)؛ إذا كانت هناك هجرة في وقت أسبق من ذلك بكثير فمن المنطقي أن يكون الإسرائيليون أمة معترف بها في ذلك الوقت، وجديرة جدا بالذكر.

ولكن المؤرخون اليهود يروون أكثرحول موسى. إن كلا من أرتابانوس Artapanus وجوزيفوس في وقت لاحق يتحدثان عن موسى الذي قاد حملة ضد شعب كوش - الأثيوبيين - الذين يقطنون المنطقة ما وراء الشلال الثاني، المنطقة التي أصبحت النوبة. وهناك إشارة واحدة إلى عملية عسكرية مصرية في الأسرة الثالثة عشر في النوبة العليا، على مسلة في المتحف البريطاني. والنقش على المسلة ليس سوى خنفرع Khaneferr.

شئ واحد نهائي يبدو أنه يربط هذه القصة مع بعضها. المنطقة التي غزيت في منطقة النوبة العليا يجب أن يكون مركزها في مدينة كرمة في السودان الحالي.قبل مائة عام، في الجزيرة الزراعية، الواقعة إلى الجنوب من كرمة، وجد هناك تمثال بالحجم الطبيعي مقطوع الرأس لفرعون – الذي عرف من النقش على التمثال باسم خنفرع Khaneferre، الفرعون الذي رفض إطلاق سراح اليهود وعانى الفيضان العظيم للنيل كعقاب له.

10. زمان الجوع

يقول المجنون، "كل شئ ملكي."مثل أثيوبي.

"من الفيضانات إلى المجاعة." هو مجاز أسطوري مشترك. قد رأينا بالفعل كيف تحدثت مسلة المجاعة، التي وضعت رمزيا في منتصف مجرى النيل، عن السبع سنوات عندما فشل الفيضان في أن يأتي وجاع الشعب: "كانت الحبوب ضنينة، وجفت البذور، وسلب كل رجل توأمه."كتاب سفر التكوين، أيضا، يوفر لنا العديد من قصص المجاعة في مصر وبالفعل أنها قد أصبحت بلداً مرتبطة بالمجاعة، أو بفكرتها ، حتى بناء اثنين من السدود الكبيرة على نهر النيل في أسوان .

ويتساءل المرء، على الرغم من ذلك، إذا كانت المجاعة متكررة، كما يوحي أنصار ذلك السد. صرح جيمس أوغسطس في زيارة له لسانت جوهان في عام 1840 "هذه العقوبات الالهية الرهيبة هي، ربما، أقل تواترا في مصر من أي بلد آخر." بالتأكيد، فإن المجاعة الأوروبية الكبرى 1315-1317، في العديد من المناطق المنكوبة التي لم تتوقف حتى 1322 كانت على نحو أشد من أي شيء جُرِّب في مصر. وكان هناك المزيد من المجاعات الإنجليزية عام 1351 و 1369.

مسلة المجاعة تفتقر إلى حد ما إلى التفاصيل، فان بؤس المصريين قد تم إقراره بدلا من أن يعرض. يحتاج المرء إلى المضي قدما في التاريخ إلى الفترة الإسلامية للحصول على عرض أكثر جوهرية مما قد يحدث في المجاعة. تاركين للحظة الفترة القديمة ل 1032-6 ميلادية، كان هناك مجاعة كبيرة في مصر بدأت ربما بسبب فشل الفيضان، ولكن تفاقمت بسبب الهجمات البربرية على نظام القناة وجشع حكام مصر الأتراكأصبحت الأمور سيئة للغاية حتى أن مقداراً ضئيلاً من القمح يجلب بدينارين من الذهب (عندما توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي ترك فقط دينارا ذهبياً واحداً وبضع قطع من الفضة في وصيته)، وبالعملة الحديثة هذا من شأنه أن يكون عدة مئات من الجنيهات الإسترلينية. عندما استهلكت جميع المواد المعتادة، تحول الناس الذين يتضورون جوعا إلى أكل لحم الفئران والكلاب وجثث أولئك الذين ماتوا حديثاً . واندفعت الكلاب التي بقيت، وقد جن جنونها بالجوع، فاقتحمت منازل البلدة والتهمت الأطفال أمام أعين والديهم، وكان الآباء أضعف من أن يدافعوا عن أبنائهم .عشرين منزلا من أعلى مستويات الجودة في القاهرة، التي تبلغ قيمتها أكثر من 20.000 دينار، بيعت للحصول على كمية صغيرة من الخبز. يروي المراقب المعاصر، ابن الجوزي، أن سيدة ذات مال وجاه، تحمل ملء يديها أربع من المجوهرات الكبيرة، وتخرج إلى الشارع وتهتف: "من يعطيني ذرة بهذه المجوهرات؟ لم يستجب أحد لصرخاتها، وهكذا في يأس ألقت بها قائلة: "إذا لم يكن في امكانك أن تساعديني في ضيقي، فما فائدتك؟ " وبقيت المجوهرات على الأرض ولم يهتم أي شخص بتحريكها والحصول عليها، هكذا كانوا يعانون من الجوع.كان هناك مجاعة في 1296م، حين لجأ الناس كالمعتاد لأكل الكلاب والجثث قبل أن تتطور الأشياء لأكثر يأساً . وجاء حاكم القاهرة، يتفقد أحوال الجوع، حين مر بثلاث من الأشرار يجلسون حول جسد لطفل صغير كانوا يجعلون عليه بهاراً من الملح والبصل المفروم الطازج والخل. (من أين حصلوا على البصل؟) بالقبض عليهم اعترفوا بأنهم بقوا على الحياة بالاقتيات على لحم الرضع لعدة أسابيع، ويأكلون طفلاً في اليوم. تم إعدامهم وعلقت جثثهم على بوابة المدينة في الزاوية. ولكن أثناء الليل، أنزلوا إلى أسفل وأكلوا من قبل الشعب الجائع، وتحول الكل، في النهاية، إلى أكل لحوم البشر.

11. الفرعون الأحمر

خذوا الحكمة من أفواه المجانين. مثل سوداني.

شبح أكل لحوم البشر يتراجع ونحن نضيئ الماضي مرة أخرى في الزمن، ولكن ليس المكان، إلى الأسرة السابعة عشر(حوالي 1580-1550 قبل الميلاد) في مصر القديمة . مثلالمسافر عبر الزمن لـ ج. هـ. ويلز، نعود إلى مكان تغير تماما .وقد ترك موسى، توت عنخ آمون وهو في المهد، ولكن رجل الساعة كان هو الفرعون سقنن رع الثاني .انه حقا الفرعون الأحمر، لأنه الوحيد الذيلاقى نهاية دموية حقاً .

إن مومياءه هي واحدة من عدد قليل جدا من المومياءات التي وجدت بجروح قتال ملتئمة. على العكس، مثلا، من الهياكل العظمية المتعافية للملوك الصليبيين، والتي عانت من الإصابات الملتئمة ونصف الملتئمة، فان مومياوات معظم الفراعنة تشير إلى حياة دون وقوع إصابات.

المومياء الجريحة لسقنن رع الثاني بالتالي، توفر نظرة فريدة من نوعها إلى العالم المتحارب في مصر القديمة - أو، بالأحرى، في اللحظات الغريبة عندما وقعت الحرب في ظل ثقافة عرفت بالاستقرار والاستمرارية أكثر من التغيير العنيف.

ونتيجة لدراسة آثار الحرب، وفرَّت جروح تاو الكثير لتحليلها. وخلافا للصدمة السطحية التي يعاني منها مومياء توت عنخ آمون، كانت جروح سقنن رع (كسور في الجمجمة والفك) قاتلة بصورة واضحة، وبالتالي فإن النتائج كانت أقل تأويلاً وأكثر وضوحاً .

أحد مشاكل المصريات، ذكر ما هو غير جدير بالذكر، هي أنه لا يوجد دليل كاف لنقول ما حدث فعلاً . بالطبع يمكن لأحد أن يتكهن، وكان علماء المصريات يتكهنون لمدة قرن أو أكثر، وهم يفحصون محتويات المقابر والنقوش ويترجمون النقوش وورق البردي وشظايا الفخار والحجر المكتوبة، ولكن هناك مشاكل خطيرة عندما يذهب المرء وراء القبر، إذا جاز التعبير، لمحاولات الوصف مع أي مظهر من مظاهر دقة التفاصيل في مصر القديمة .لماذا ذلك؟ لأنه، بكل بساطة، لم يكن الناس الذين يتركون لأنفسهم أي مخزون من تقرير صحفي واقعي. كل شيء منحوت في الحجر كان له معنى رمزي أو ديني يفوق بكثير معناه أو أهميته اليومية العملية. في اللوحات الجدارية التي تصف "الحياة اليومية" نرى أشياء كثيرة، ولكن ليس صورة واحدة للرجال وهم يبنون الأهرام. في الأنسجة الصوفية التي تصور الحرب، يصور الملك وهو يقتل. وعلى الرغم من الرغبة في تصديق قدماء المصريين من ذوي المهارات السحرية ما هو أبعد من تلك التي امتلكها كهنة السحرة والذين يعملون على الادهاش في أي عصر، فانه ببساطة لا يمكن أن نعتقد أن هذا هو تمثيل دقيق لما حدث. ليس فقط أنه غير دقيق بعض الشئ، ولكن الملك الذي يهزم جيشا بمفرده لا صلة له بالواقع على الإطلاق. ومع ذلك، فانه حتى أفظع الكذابين أو الخياليين يقدمون بعض الأدلة. وإذا نظرنا إلى التابوت ذو الصور الجميلة الذي يصور توت عنخ آمون وهو يسحق الآشوريين، يمكننا أن نكون متأكدين بقدر معقول أن هذا هو ما كانت تبدو عليه العجلة الحربية (كان الملك الشاب يركب على واحد منها)، أن الحصان الحربي كان له درع، وربما منحلقات النحاس، وأنه إذا أديرت الحرب من المركبات فإن الأقواس والسهام قد استخدمت ويمكننا أن نرى كيف تبدو. يمكننا الحصول على صورة للناس، الملابس التي كانوا يرتدون، والأسلحة التي كانوا يستخدمون، ولكن لا يمكننا الحصول على صورة واقعية لأي حالة يتم

وصفها. والحالة العادية واضحة ولكن المعنى على العموم بعيد المنال. إلى أي درجة كان الدين يتدخل في الحياة اليومية؟ بأي قدر كانت توصف الحروب؟ والأهم من ذلك كله، ما الذي يفهم حرفيا، وما الذي يفهم مجازا؟

هناك قدر كبير من الصور المتكررة للفرعون وهو يضرب أعداءه - في الواقع، يبدو أن الضرب هو المصير لكل شخص لديه الجرأة لمعارضته. في صور الضرب يصور الفرعون ضخماً والمضروبون صغاراً .ولكن هل يمكن أن نعتقد أن الملك يدور كشبح على فرسه،حاملاً سلاحه في يده، يضرب به طوال اليوم؟ بالتأكيد فان النعمة الأولى للملكية هو أن توظف الضارب الخاص بك؟

بالطبع ما أن يشك المرء في الأهمية الحرفية لهذه الصور يكون المجال كله مفتوحاً على مصراعيه. منهج واحد يمكن أن يوظف ما نعرفه عن الرمزية والتصوف من المجالات الأخرى لفتح أسرار مصر القديمة. إنه مسار محفوف بالمخاطر، خاصة بالنسبة للأكاديميين.

الدكتور غاري شو يتجه وجهة أخرى. في العام الحالي 2008 كان يبحث في السلطة الحاكمة للأسرة الثامنة عشرة في مصر، واضطر أن ينهي عمله، بعد أن حشد جميع الأدلة، التي تمكن المرء من أن يقول القليل جدا المؤكد عن الفراعنة.

فمن الواضح أن "التاريخ" المفصل الحقيقي لدور فرعون كفرد في الحكومة لا يمكن كتابته لهذه الفترةأي عالم يقرر أن حدثاً معيناً قد وقع، أو أن "الملك قد فعل (س)" يقدم افتراضات عن الأدلة. ليس هناك رأي غير متحيز في هذه الأدلة، وليس هناك معلق موضوعي يمكن استخلاص وجهة نظره عن النظام من الخارج. والدليل هو نظام مغلق ومتماسك داخل نفسه، ولكن الذي لا يترجم إلى واقع تاريخي حيث لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كان العرض يمكن الوثوق به. البعض الآخر قد يكون محقا في قوله أن الملك يستطيع أن يفعل كما يحب، ولكن الأدلة من مصر لا يمكن أن تستخدم لإثبات هذا الزعم.

هناك تواضع مرحب به في مثل هذه الاستنتاجات، لأنه منذ زمن بعيد فإن الجزم في الأمور عن الحياة في مصر القديمة قد تم على أساس أدلة قليلة جدا.

ومع ذلك، فإن شو يعترف بأن بعض الاستنتاجات يمكن استخلاصها، على سبيل المثال عند تحليل البقايا المادية للملوك التي تم الحفاظ عليها كمومياوات.تماماً كفريق CSI الذي يمكنه استخلاص عدد كبير من الاستنتاجات من جثة، فان البقايا المحفوظة جيدا للملوك هي واحدة من الجوائز الأكثر رسوخا في المصريات.

دعونا نعود لفترة وجيزة، عما يمكننا أن نعرفه عن حياة الملوك. لشيء واحد أنه من غير المرجح أنهم قاتلوا على رأس جيوشهم. ويصور توت عنخ آمون، الذي توفي في التاسعة عشر، يصور وهو يقود جيشاً، ولكن من غير المرجح أن مثل هذا الشاب ممشوق القوام قد أعطي قيادة معركة بأكملها.

ولكن ليس كل المومياوات كانوا مخنثين! هناك واحد كان دائما يضرب كمثال محتمل لعراك ملكي، وهو بقايا الفرعون سقنن رع الثاني من الأسرة السابعة عشر. هذه المومياء، مع إصابات في الرأس كان يعتقد منذ فترة طويلة ، أنها جثة لملك قتل في القتال إلى جانب قواته. ولكن هل هذا هو الحال فعلا؟ بدأ غاري شو، بأسلوب المباحث الجنائية، اكتشاف الحقيقة وراء الجثة الغامضة للفرعون الأحمر.

قبل أن نتبع تحقيقاته يجدر بنا رؤية ما نعرفه عن الحرب في ذلك الوقت من الدولة الأولى التي أقيمت على النيل.في الواقع كانت مصر أول دولة في أي مكان، لذلك كانت تبتدع حرباً من نوع جديد – ليست تلك الحرب بين القبائل ولكن الحرب التي تشنها أمة موحدة على الانتماء الفضفاض للقبائل، مثل دولة المدينة، أو الجماعات التي تواجهها.

ونحن نعرف، أيضا، أنه بطريقة مخزية إلى حد ما نقل جيش الفرعون نفسه على ظهور الحمير. ليس بالحصان وبالتأكيد ليس بالجمال. تم العثور على لجام وسروج الحمير في أسبق العصور المصرية، ولكن الجمال لم تصور أو حتى تذكر حتى الغزوات الفارسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وبطبيعة الحال كانت هناك خيولاً وكذلك حميراً، ولكن الحمار، بقوته المستدامة وقدرته على العمل في مناخ جاف، يمكن أن يكون العمود الفقري للجيش عند نقل الأمتعة والممتلكات الشخصية.

ونحن نعلم أن الجنود في الحملة يعيشون في خيام نصبت مع أعمال الحفر للحماية. ويمكننا أن نفترض، أن خيمة الملك، تقف في وسط المخيم مع مزار لآمون، كبير الآلهة في الدولة الحديثة. ومن اسم آمون نشأت صيغة نهاية الصلاة "آمين" ، الذي يكاد يكون من المؤكد دخولها العبرية القديمة ثم العربية واليونانية. لم تكن التجهيزات سيئة في الحملات العسكرية التي سعت للدفاع عن النيل ضد أي هجوم، أو حتى دفع الحدود شمالاً . خيمة الضابط قد يكون بها غرفتين أو أكثر من سرير مخيم قابل للطي ومقعد قابل للطي، لا يختلف عن هذا النوع من الأثاث الذي لا يزال يستخدم في الحملات العسكرية حتى اليوم.

الرجل الذي كان قد خدم كجندي قد يكون مؤهلا للحصول على أرض كمنحة. والمحارب ذو الخبرة الذي ميز نفسه في معركة قد يتم منحه ميداليات. الأسد الذهبي يبدو واضحا، ولكن كان هناك أيضا درجة الذبابة الذهبية ـ ماذا يمكن أن تكون مكافأة ذلك؟ الإصرار على هدف واحد، وأن يكون عصياً على الضرب؟ رسم كيتي، الكاتب في عصر الدولة الحديثة، صورة غير سارة، وبالتالي واقعية بطريقة مغرية للحياة في الجيش. ووصف جولات من التدريب الوحشي، مشاحنات مستمرة في المخيم، والسُكر،

والقِمار، والعجز البدني بعد المعركة، والجوع، والعطش، و ... الذباب. ربما تذهب الذبابة الذهبية للرجل الذي يمكنه أن يتحملها لمدة أطول.

على الرغم من أنه تم استنقاذ السيوف المصرية، مع أنصال من النحاس والبرونز وأحيانا مقبض مصنوع من الذهب، فمن شبه المؤكد أن الأسلحة الرئيسية في تلك الأيام ستكون الهراوات، الرماح والأقواس لكسر الأطراف، وسيف، يميل إلى أن ينغرز في الشحم من الجسم، وهي ليست الأكثر كفاءة في الأسلحة القاتلة في معركة مضطربة. الشيء الذي من شأنه أن يلقي بالرجال إلى الأرض وأن يحافظ عليهم ملقون على الأرض، يجب أن يكون أسرع، إنه الهراوة أو العصا السلاح المفضل، وإذا كان يمكن أن يلقى بالرجال من مسافة بعيدة باستخدام الرماح أو السهام، يكون ذلك أفضل بكثير.

كان الجنود يسيرون مع كل ما لديهم من العتاد إلى ما يصل الى عشرة أميال في اليوم على أرض الصحراء. بدأ الانضباط جيداً منذ أن استخدمت مناورات تكتيكية دقيقة في المعركة، وذلك باستخدام الابواق للإشارة إلى الأمر. ولكن هل كان الملك هناك يوجه المعركة من الجبهة؟ دعونا نعود إلى الفرعون سقنن رع لمعرفة ذلك.

تم استرداد مومياء له، وربما في التابوت الأصلي، في عام 1881 من الدير البحري، وهو مجمع من المعابد الجنائزية على الضفة الغربية للنيل قرب الأقصر الحالية. في عام 1997 كان هذا المكان الذي قتل فيه ثمانية وخمسون من السياح وأربعة مصريين من قبل الجهاديين الإسلاميين، لتتحول المنطقة مرة أخرى إلى مكان للموت.

ولكن في عام 1881 كانت السياحة لا تزال في مهدها وعلم المصريات بالكاد كان قد وضع على الإطلاق. تم اكتشاف المومياوات من قبل سارقي القبور، أسرة عبد الرسول الذين بدأوا حياتهم المهنية بالحفر خارج منازلهم في القرنة للعثور عليها. اعترف اثنان من الأسرة، وهماأخوان، تحت التعذيب بما وجداه. ثم تم نقل المومياوات إلى القاهرة. وكان جاستونماسبيرو، عالم الآثار الفرنسي الكبير، هو الذي لاحق الأخوين عبد الرسول، على الرغم من أن المرء يتصور ان التعذيب شيء أضافته الشرطة المحلية من تلقاء نفسها. ماسبيرو، الذي كان يرغب في دراسة الرقص في الأصل وتركه فقط من أجل والده ، هو الذي فض مومياء سقنن رع في يونيو حزيران 1886. ويجب أن يكون الطقس يغلي من السخونة في ذلك الوقت، وبالتالي فإن حقيقة أن المومياء كانت متعفنة وأنه تفوح منها رائحة كريهة سيجعل المهمة لا تزال أقل قابليةبكان الكفن الخارجي دهني الملمس ومعطَّراً وكان عالقا تحت الجلد. لاحظ ماسبيرو على الفور ثلاث إصابات في رأس الملك (وكن في الواقع خمسة). كانت هذه تحاط بمواد بيضاء يفترض أن تكون تسريباً لمواد من الدماغ. وكانت الإصابات أولا جرح كبير فوق الحاجب الأيمن. ثانيا ضربة بعصا أو فأس قتال على خده الأيسر الذي كسر الفك السفلي؛ وثالثا جرح، مخبوء تحت شعر الملك إلى حد ما، في الجزء العلوي من الرأس على شكل فتحة، فتحت بفأس كما يحدث. من هذا الشق تسربت مادة الدماغ.

ويشير تقرير ماسبيرو أن آذان سقنن رع قد اختفت، وأن فمه مليئ بأسنان صحية كانت تقبض على اللسان بإحكام. وقد حدث أن الفساد في الجثةقد بدأ حتى قبل أن يبدأ المحنطون عملهم. وكانت عملية التحنيط غير منظمة وتمت على عجل. لم يكن هناك نطرون قد استخدم (شكل طبيعي من رماد الصودا الذي يستخدم في صنع الصابون، كمطهر وللحفاظ على المومياوات). فقط تم رش شظايا من خشب البهار في أنحاء الجسم. ولم يتم إزالة الدماغ. وقد اخترقت الخنافس والديدان أكفان المومياء، مع وجود يرقة خنفساء في شعر الملك. خمن ماسبيرو أن سقنن رع قد بلغ حوالي الأربعين عندما توفي وأنه قد حلق في يوم وفاته.

وأشار المحققون لاحقاً أن لم تكن هناك إصابات في الأيدي أو أي جزء آخر من الجسم. بالنسبة لغاري شو فقد أصبح هذا دليلاً هاماً . تركت مذابح التوتسي من قبل الهوتو في عام 1994 لعلماء الانثروبولوجيا الشرعيين أدلة مروعة للكثير من هذا النوع من الإصابات التي تكبدت في معارك تستخدم فيها الأسلحة البدائية - عادة الهراوات المصنوعة من قضبان الحديد والخشب والسكاكين المعقوفة. وبعبارة أخرى، مشابهة جدا لأسلحة ساحة المعركة المصرية منذ 3000 سنة. تحمل نفس تلك الأجساد التي تطفو على بحيرة فيكتوريا من مصدر نهر النيل في نهر كاجيرا إصابات مماثلة لأولئك الذين قتلوا

منذ آلاف السنوات في معارك في الطرف الآخر من النيل، حالما يصل إلى البحر، كما لو كانت بذور ذلك الدمار قد أخذت كل ذلك الوقت من "الحضارة" على كوكب الأرض لتصل إلى أبعد مدىً لها.

من أدلة الهجمات الحديثة بالسكاكين المعقوفة والهراوات يمكننا أن نخلص إلى أنه في أي شكل من أشكال القتال المفتوح يكاد يكون من المستحيل حدوث ضربات على الرأس دون تلقي أيضاً إصابة في الذراعين والجسم. والضربات المتعددة في الرأس تشمل دائما إصابات في الذراع بينما يحاول الضحية حماية نفسه - ولديه الوقت للقيام بذلك بين الأفراد، ولكن ليس في الهجمات الفورية القاتلة. أوحى هذا لشو أن الملك لم يقتل في ساحة المعركة. لم يكن لديه إصابات أخرى بصرف النظر عن تلك المصوبة جيدا وبدقة إلى رأسه.

استخدم شو الدراسات الإحصائية للتصوير المجسم للمعركة الذي كان دقيقاً تشريحياً . كون هذه افتراضاً بأن نوع الجروح المصور من شأنه أن يعكس مثيلها في المعركة. ووجد أن إصابات الرأس والرقبة مثلت 17.1 في المائة فقط من تلك المصورة لجنود يموتون في حين أن إصابات الصدر كانت 70 في المائة. في مشاهد "المعسكر" في معبد الأقصر فقط 12.5 في المائة لديهم إصابات في الرأس وحده. هذا يبين كيف أن الرأس، بما أنه هدف أصغر حجما، فانه أقل عرضة للإصابة من مناطق أخرى من الجسم أكثر عرضة وأكبر حجماً .

ألا يمكن أن يكون ذلك الدرع قد حمى بقية الجسم؟ ليس هناك أي دليل، ومع ذلك، فإن جنود المملكة القديمة والوسطى كان يلبسون الدروع. ونحن نرى ظهوره لأول مرة في الأسرة الثامنة عشرة، حيث الحلقات البرونزية المصفوفة مثبتة بإحكام إلى ملابس من الكتان أو الجلد إلى الركبة. ويعتقد أن الخوذات ودروع الجسم تطورت جنبا إلى جنب مع العجلة الحربية، والتي تم استخدامها كمنصة متنقلة للرماة أكثر منها عربة شخصية لزيادة السرعة كما هي عند بن هور. وعلى أية حال لم تكن هناك مركبات مستخدمة في عهد سقنن رع، لذلك مرة أخرى يبدو من غير المحتمل أن ذلك الفرعون قد مات في معركة.

ومن الذي قال أنه كان يقاتل طيلة ذلك الوقت؟ إن الهكسوس الغامضين، هم الذين كان يعتقد جوزيفوس، المؤرخ اليهودي في القرن الأول، أنهم هُم الإسرائيليون بعينهم الذين طردوا خلال الخروج. ودعاهم بـ "الملوك الرعاة"، وهي ترجمته الخاصة للهكسوس المصريين. العلماء المعاصرون يعتقدون الآن أن الترجمة الصحيحة هي "حكام البلاد الأجنبية". وتبدو أقل إقناعا بكثير. طرد الملوك الرعاة إلى كنعان، هو الذي يجعل الاشارة إليهم كبني إسرائيل راجحة. حصل جوزيفوس على هذه الفكرة من المؤرخ المصري مانيتو الذي كتب تاريخ مصر في القرن الثالث قبل الميلاد ، والذي جنبا إلى جنب مع هيرودوت هو مصدر الكثير مما نعرفه عن المصريين القدماء. ومن المفترض اسم مانيتو نفسه مشتق من "حبيب أو هدية توت ."على الرغم من المعتقدات السابقة حول الهكسوس بأنهم هاجموا مصر كحشد من القبائل، فإن الروايات الحديثة تقول بأنهم تسللوا بسلام إلى منطقة الدلتا في مصر السفلى - المنطقة حيث استقر يوسف وبني إسرائيل.

ونحن نعلم من التصوير المجسم والأدلة النصية أن الملك لم يكن يفتقر إلى حارس شخصي. هذا يتناقض إلى حد ما مع العرف السردي الخيالي بأن الملك قهر جيشاً كاملاً لوحده، وبيد واحدة، لكن له علاقة مع كل التقاليد العسكرية الملاحظة: مقتل القائد، وخاصة القائد الملكي، لديه تأثير كبير على الروح المعنوية. لذلك، فانه يجب أن يكون محمياً مهما كانت التكاليف. وأن يهاجم ويقتل الملك المحمي بضربات على الرأس فقط، في حين يكون محاطاً بحارس شخصي، أمر بعيد الاحتمال. وعلى نحو متزايد يبدو كما لو أن سقنن رع لم يمت في معركة.

بالعودة إلى الطب الشرعي، فإن ماسبيرو يخلص إلى أنه تم إجراء تحنيط غير كفؤ ومتسرع في ساحة المعركة، أو على الأقل بعيدا عن العاصمة، طيبة. كان التحلل نتيجة لهذا التعامل المتسرع وليس نتيجة للتأخر في التحنيط، بما أن التحنيط السليم في تلك الفترة كان يمكن أن يكون قادرا على وقف أي تعفن في العملية الكلية لعمل مومياء. على أي حال، في مناخ حار مثل مصر فإن التعفن يبدأ على الفور تقريبا.

في أواخر الستينيات من القرن العشرين، أظهرت الأشعة السينية للجسم أنه على الرغم من أن الهيكل العظمي لم يكن مترابطاً باتساق (نتيجة للتحنيط) فإنه لم يكن أي عظم قد كسر باستثناءذلكالموجود

في الجمجمة. بدا الأمر كما لو أنه قد تم تنفيذ حكم الاعدام على الملك ، أو، كما اقترح البعض، أنه قد قتل أثناء نومه. لم يكن هناك جلد ملتئم لأي جروح، وهذا يخبرنا بأن المسكين سقنن رع لم ينج من الهجوم، أيا كان مصدر الهجوم.

هل كان نائما، أو ربما كان يتناول وجبة عندما تسلل القاتل صعودا وأعمل فيه الضرب حتى الموت؟

لقد كان هناك في الماضي تأييداً قوياً لفرضية الاغتيال. ومع ذلك، فإن الملك عندما يغتال فانه لا يستثنى من المراسم الكاملة للتحنيط. لو أن سقنن رع قد قتل في قصره الخاص أو حتى معسكره لم يكن هناك أي سبب لتحنيطه بهذه الطريقة الجزئية والخرقاء.

نقطة أخرى ضد الاغتيال هي خليط الأسلحة التي استخدمت ضده. من الجروح العديدة في رأسه لوحظ أنه قد تسببت فيها أسلحة مصرية وهكسوسية الصنع. كان هناك جرحان يتسقان مع ما يخلفه الفأس الحربيالبرونزي الفلسطيني، وهو سلاح لا يوجد إلا في منطقة الهكسوس للدلتا الشمالية الشرقية. ضربات أخرى هي أكثر علاقة معفأس اليدأو البلطة المصرية. ويبدو من غير العادي للاغتيال أن يستخدم فيه هذه المعدات المختلطة. على كل حال، كان للهكسوس محاربون تابعون من المصريين يقاتلون لهم، لذلك على أرض المعركة فإن كلا النوعين من الأسلحة كان متوفراً، الشيء الذي من شأنه أن يضفي بعض المصداقية لحدوث الموت في مثل هذا المكان - حتى لو أنه، كما رأينا في وقت سابق، لم يمت فعلا خلال المعركة.

إذا لم يكن سقنن رع قد اغتيل ولم يمت وهو يقاتل، كيف مات؟ الاحتمال الآخر هو عملية إعدام من نوع ما .عندما يتم إعدام الناس ببلطة أو هراوة، بعد أن يتم تقييد أيديهم، فاننا نرى إصابات مماثلة (على الرغم من هذا فإنه ليس من غير المألوف أن نرى جروحاً في الكتف من أثر النصل وطوق عظام العنق حيث يخطئ الجلاد هدفه حتى في الوضع الذي يسيطر عليه).

عندما تحدثت إلى الدكتور غاري شو أوضح أن سقنن رع ربما كان راكعا عندما تم إعدامه، على أو بالقرب من ساحة المعركة. اقترح أيضا أن كلا الجانبين من السلاح - استخدمت لقتل الملك - الحافة القاطعة من الفأس وجانب التوازن من حد السكين التي تشبه الهراوة. بعد أن قتل فإن جسده حنط بطريقة بدائية قبل أن يتم إرساله مرة أخرى إلى طيبة حيث مثواه الأخير.

ومن المدهش أن أيا من جثث الملوك في مصر القديمة كان بها مثل الضرر الذي وجد على ملك أوروبي، على سبيل المثال، في أزمنة الصليبيين. الإسكندر الأكبر، تكشف روايات معاصرة، أنه كانت به إصابات ملتئمة. واحد من أكثر الملوك المحاربين احتراما هو أحمس، ابن سقنن رع، والذي قاد في النهاية طرد الغزاة الهكسوس من مصر. ومع ذلك كان جسم أحمس من ذلك النوع النامي الذي قد تجده في الأشخاص الذين لم تتطلب حياتهم أن يبذلوا جهدا بدنياً .وكان بصورة واقعية واهياً جدا ليكون من النوع البطل البارع في استخدام السيف كما تصوره اللوحات النسيجية والمجسمات التصويرية والشواهد النصية. عند النظر في النصوص ذات الصلة، وجد غاري شو، أن هناك تحولا درامياً كلما ذكر اسم الملك حيث يتحول النصمن كونه رواية مبتذلة لا إثارة فيها لتميل بصورة مفاجئة إلى المبالغة. وهنا يذكر المرء القائمة الكبيرة من الأعمال والاكتشافات البطولية التي من المفترض أنه قام بها كيم إيل سونغ، ماو وستالين تبعاً لخبراء الدعاية التابعين لهم.

ويبدو أن سقنن رع، الفرعون الأحمر، يتعارض مع الأدلة التي تقول أن الملوك المصريين يبقون بعيدا عن إراقة الدماء. ومع ذلك، فإننا يمكننا أن نرى الآن أنه كان ببساطة سيئ الحظ – أن يلقى القبض عليه ويقتل بطريقة تقترب من الوحشية كما قد يتوقع المرء أن يحدث في خضم المعركة نفسها.